جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

التَّفْسِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لآيَاتِ الصَّدَقَةِ مع بيانِ حلِّ مُشْكِلَةِ الفَقْرِ فِي ضَوْءِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

إعداد

د / منى البدري السيد أحمد

المُدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر.

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٥هـ - يونيو ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

(التَّفْسِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لآيَاتِ الصَّدَقَةِ مَعَ بَيَانِ حَلِّ مُشْكِلَةِ الْفَقْرِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)

منى البدري السيد أحمد
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: monabadri٧٩@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

المقدمة: تكمُن أهمية البحث في أنه يُبين علاج الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لمُشْكِلَةٌ من أخطر وأهم المشاكل التي تُواجه المجتمع طول حياته، وآفة خطيرة لا يكاد يخلو مُجتمع من المُجتمعات منها، وهي ظاهرة مُجتمعية لا يحبها أحداً ولا يرغب فيها أحد، وتكون كثيرة في العديد من المجتمعات؛ فالفقر يُعد واحدة من إحدى المصائب التي تُواجه الإنسان في الحياة؛ لأن الفقر يجعل صاحبه في حالة احتياج دائم، وأنه لا يستطيع القيام بتلبية طلباته البسيطة، وإن كانت الاحتياجات هذه ضرورية وذلك بسبب فقره. وقد وضع الاسلام لعلاج هذه المُشكلة حلولًا فعالة؛ حتى لا يترك الفقر آثاره السلبية وعواقبه الوخيمة على الفرد أو المجتمع الذي يُعاني منه.

الهدف:

يهدُف البحث لتحقيق الأمور الآتية:

١ـ بيان مفهوم الفقر، والأسباب التي تؤدي إلى الوقوع فيه، والآثار المترتبة عليه.

٢ـ بيان سبق القرآن الكريم وإعجازه في علاج ظاهرة قديمة تُعاني منها الدول المُتقدمة والمُتخلِّفة؛ فالدول الغنيَّة لا تخلو من وجود طبقة من الفقراء، والدول الفقيرة على فقرها تتكدَّس فيها الثروات بِيَد فئة قليلة من الأفراد، وهم الأثرياء.

٣ـ بيان أثر علاج القرآن الكريم لهذه المشكلة الخطيرة في الوقاية من الفقر.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مُقدمة - وتمهيد ــ ومبحثين وخاتمة – وفهرس للموضوعات والمراجع - **أما المبحث الأول فجعلته بعنوان: (حث الفرد على حل مشكلة الفقر والتصدي له، وأثر ذلك في حفظ كرامة الإنسان، وتأمينه لقوته وقوت أهله.**

أما المبحث الثاني فجعلته بعنوان (حث المجتمع على حل مشكلة الفقر والتصدي له، وأثر ذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي).

أما الخاتمة فجاء فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المنهج: اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي الاستقصائي.

النتائج: **١ـ** إن التشريع الإسلامي بقواعده وقوانينه الثابتة نص على الكثير من الأمور التي تُعالج مُشكلة الفقر، بل وتقضي عليه قبل ظهوره. ٢ــ الحد من الفقر، والتصدي له ليس بالتمني ولكن بالعمل، وعجز المرء وكسله سبب البلاء والتأخير

التوصيات: ١ـ أوصي شباب المجتمع بالسعي والعمل في طلب الرزق؛ فالعملُ هو الوسيلةُ الأولى والسلاحُ المَضَّاءُ – بفضل الله وتوفيقه ـ للقضاء على هذه المُشكلة.

٢ـ أوصي الأغنياء بوجوب إخراج زكاة أموالهم؛ فالزكاة أمر من الله، وحق من حقوقه ـ عز وجل ــ، وركن من أركان الإسلام، وبالتالي تصبح العلاقة الحقيقية بين الله وبين دافع الزكاة، وليست بين الغني والفقير.

الكلمات المفتاحية: الفقر، العمل، الزكاة، الصدقة، الانفاق.

(Analytical interpretation of the verses on charity, with an explanation of the solution to the problem of poverty in the light of the Holy Qur'an)

Mona Al-Badri Al-Sayyid Ahmed

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Sohag, Al-Azhar University, Egypt.

Email: eg. edu.٧٩@azhar.monabadri

Abstract:

Introduction: The importance of the research lies in that it shows the Holy Qur'an's treatment of one of the most serious and important problems facing society throughout its life, and a dangerous scourge that hardly any society is free of. It is a societal phenomenon that no one likes and no one desires, and it is abundant in many societies. Poverty is one of the misfortunes that a person faces in life. Because poverty puts the person in a constant state of need, and he is unable to meet his simple requests, even if these needs are necessary, because of his poverty. Islam has developed effective solutions to solve this problem. So that poverty does not leave its negative effects and dire consequences on the individual or society that suffers from it .the goal :The research aims to achieve the following things:١-Explaining the concept of poverty, the reasons that lead to it, and its consequences.٢-A statement of the Holy Qur'an's precedence and its miracles in treating an ancient phenomenon that both developed and backward countries suffer from. Rich countries are not devoid of a class of poor people, and poor countries, despite their poverty, have wealth accumulated in the hands of a small group of individuals, namely the wealthy.٣-Explaining the impact of the Holy Qur'an's treatment of this serious problem in preventing

poverty.The nature of the research required that it contain an introduction, a preface, two sections, a conclusion, and an index of topics and references. As for the first section, I titled it: (Urging the individual to solve the problem of poverty and confront it, and the impact of this on preserving human dignity and securing his strength and the livelihood of his family.As for the second section, I titled it (Urging society to solve the problem of poverty and address it, and the impact of this on achieving social solidarity.As for the conclusion, it contains the most important findings of this research, some suggestions, the most important sources and references, and an index of topics.Method: In this research, I followed the analytical-survey method.Results: ١-Islamic legislation, with its established rules and laws, stipulates many matters that address the problem of poverty, and even eliminates it before it appears. ٢ - Reducing poverty and confronting it is not by wishful thinking but by action, and a person's inability and laziness are the cause of calamity and delay. Recommendations: ١- I advise the youth of the community to strive and work to seek livelihood. Work is the first means and the most effective weapon - with God's grace and success - to eliminate this problem. ٢-I recommend to the rich that they must pay zakat on their wealth. Zakat is a command from God, one of His rights - the Almighty - and one of the pillars of Islam, and thus the real relationship becomes between God and the one who pays zakat, and not between the rich and the poor.

Keywords: Poverty, Work, Zakat, Charity, Spending.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمهُ البيان، وهداهُ إلى كسب رزقه بأنواع الصنائع وأشكال الأسباب، وأشهد أن لا إله إلا الله القائمِ بأرزاق خلقه، فما لأحدٍ منهم عنه غِنًى، الخلائقُ كلهم إليه فُقراء، أحمده سبحانه وأشكره على جزيلِ نعَمِه وآلائه سِرًّا وعلنًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ من حقَّق توحيده فأتى يوم القيامة آمِنًا، وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسوله دعا إلى الله، وأقام المِلَّة، وجاهدَ في الله حقَّ جهاده، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الفَناءِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بَعْدُ

فالفقرُ مُشكلة من أهم المشاكل التي تُواجه الإنسان، وهو في نظر الإسلام بلاءٌ ومُصيبةٌ، تعوَّذَ منها، ووجَّهَ بالسعي؛ للتخلُّص منها، وإذا كان الفقرُ قدرًا وبلاءً فإن مُقاومته والسعيَ في الخلاص منه قدرٌ وعلاجٌ كذلك.

والإسلامُ أقرَّ حقوقَ الفقراءِ وضمِنَها وحفِظَها وحماها، ووجَّه بالدفاع عنها منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا؛ صيانةً للمُجتمع، وحِفظًا للأُسَر، وإشاعةً لروح الإخاء، وسلامةً للدين، واستقامةً للخُلُق.

ومن حكمة الله – تعالى- أنْ جعل النّاس مُتفاوتين في الأرزاق والنعم، كما أنّ التفاوت من مبادئ الحياة، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ

فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾(١).

فلو كانت جميع فئات المُجتمع ذات سعةٍ وغنى؛ لانتشر البغي والظُلم في الأرض، والإسلام لا يقف عاجزاً أمام هذه المُشكلة، بل يضع الحلول الشافية التي تقضي على هذه الظاهرة؛ فحارب الفقر، وحدّ منه بالعديد من الوسائل والطرق.

ولما كان الفقر يتسبب في انتشار الكثير من الأخلاق الرذيلة؛ وذلك مثل: السرقة، والقتل، والزنا، وبيع المحرمات، ولا شك أن لتلك الأمور أثرها السيئ على الفرد والمجتمع؛ وقع اختياري على هذا الموضوع الذي اسميته **((التَّفْسِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لآيَاتِ الصَّدَقَةِ مَعَ بَيَانِ حَلِّ مُشْكِلَةِ الْفَقْرِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ))**.

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

١- أنّ الفقر أحد أكثر المشاكل الاجتماعية والاقتصادية انتشاراً في أنحاء العالم، فلا تكاد يوجد بلدٌ من البلدان غنياً كان أم فقيراً، مُتطوراً أم مُتخلّفا، إلا وفيه نسبةٌ من الفقر.

٢- أنّ للفقر آثار تهلك الكثيرين في حال عدم التَّصَدِّي له.

٣- أن الفقر ينتج الجرائم والفساد، ولذا فإن الأمم تُعاني منه، وتُحاول إيجاد الحلول له، ولا حلَّ له إلا بالإسلام، الذي جاءت أحكامه للناس جميعاً، وإلى قيام الساعة.

٤ - أنّ مُستويات الفقر في العالم الإسلامي مُترفعةٌ، ويرجع السبب في ذلك إلى البُعد عن المنهج الإسلامي وما فيه من ترشيد الإنفاق، وحفظ النعمة، والسعي والإنتاج، بالإضافة إلى الأوضاع الصعبة التي يعيشها الكثير من المُسلمين الذين هاجروا من أوطانهم.

---

(١) [الزُّخرُف: ٣٢].

٥- تنبُع أهمية هذا البحث في كونه يبحث في حل مُشكلة الفقر وهي ظاهرة خطيرة تُعاني منهما كثير من المُجتمعات والأمم المُعاصرة؛ بسبب قعودها وتكاسلها عن استخدام الموارد المُتاحة.

أهداف البحث:

يهدُف البحث لتحقيق الأمور الآتية:

١- بيان مفهوم الفقر، والأسباب التي تؤدي إلى الوقوع فيه، والآثار المترتبة عليه.

٢- بيان سبق القرآن الكريم وإعجازه في علاج ظاهرة قديمة تُعاني منها الدول المُتقدمة والمُتخلِّفة؛ فالدول الغنيَّة لا تخلو من وجود طبقة من الفقراء، والدول الفقيرة على فقرها تتكدَّس فيها الثروات بيَد فئة قليلة من الأفراد، وهم الأثرياء.

٣- بيان أثر علاج القرآن الكريم لهذه المُشكلة الخطيرة في الوقاية من الفقر.

أهمية البحث

تكمُن أهمية البحث في أنه يُبين علاج الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لمُشْكِلَةٌ من أخطر وأهم المشاكل التي تُواجه المجتمع طول حياته، وآفة خطيرة لا يكاد يخلو مُجتمع من المُجتمعات منها، وهي ظاهرة مُجتمعية لا يحبها أحداً ولا يرغب فيها أحد، وتكون كثيرة في العديد من المجتمعات؛ فالفقر يُعد واحدة من إحدى المصائب التي تُواجه الإنسان في الحياة؛ لأن الفقر يجعل صاحبه في حالة احتياج دائم، وأنه لا يستطيع القيام بتلبية طلباته البسيطة، وإن كانت الاحتياجات هذه ضرورية وذلك بسبب فقره. وقد وضع الاسلام لعلاج هذه المشكلة حلولاً فعالة؛ حتى لا يترك الفقر آثاره السلبية وعواقبه الوخيمة على الفرد أو المجتمع الذي يُعاني منه.

مُشكلة البحث.

جاءت هذه الدراسة لتُجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ما المقصود بالفقر، وما أسبابه، وما آثاره على الفرد والمجتمع؟.

٢- كيف عالج القرآن الكريم مُشكلة الفقر وتصدى لها؟.

٣- هل جعل القرآن الكريم للفرد دور في علاج الفقر؟ وهل لهذا العلاج أثر في حفظ الكرامة الإنسانية، وفي تأمين الإنسان لقوته وقوت أهله؟.

٤- هل جعل القرآن الكريم للمُجتمع دور في علاج الفقر؟ وهل لهذا العلاج أثر في تحقيق التكافل الاجتماعي؟ وفي حفظ أمن المجتمع؟.

ومنهجي في هذا البحث

* سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي(١)الاستقصائي(٢) **وخصصت الجانب التحليلي لآيات الصدقة، والاهتداء بهديها**؛ رغبة مني في المُساهمة ولو بشيء يسير فيما يتعلق بعلم التفسير العظيم، وكان كما يلي:

* الكشف عن الجوانب التحليلية المُتعلقة بالآيات الرئيسة للصدقة من حيث بيان المفردات، ومناسبة الآية لما قبلها، والكشف عن وجوه القراءات وإعراب الكلمات * إظهار النواحي البيانية والجمالية لآيات الصدقة إن وجد.

*جمع الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الفقر وعلاج القرآن الكريم له.

* الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن دور الفرد والمجتمع في علاج الفقر.

---

(١) المنهج التحليلي: هو منهج يقوم على دراسة الاشكالات العلمية المختلفة تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً. أبجديات البحث في العلوم الشرعية د فريد الأنصاري ص/ ٩٦ / طبعة الدار البيضاء ١٩٧٧م.

(٢) الاستقصاء: هو أحد الطرق التي تتبع للإلمام بالشيء ومعرفته. المصدر السابق ص/ ١٠٣.

* وضع عنوان لكل مبحث من المباحث.

*وضع عنوان لكل مطلب من المطالب.

* الحديث عن المطلب بطريقة علمية من خلال الكتاب والسنة وأقوال العلماء. *عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

* تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار من مصادرها المُعتمدة.

* توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء بعد الرجوع إلى مراجع التفاسير للوقوف على ما يناسب موضوع الآيات من أقوال بما يتناسب مع الموضوع.

* شرح غريب الألفاظ والمصطلحات إن وجد.

* ذكرت في الهامش اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة فقط، أما تاريخ النشر وسنة الطبع فذكرته في فهرس المصادر والمراجع.

* وضع رموز في هامش البحث وهي على النحو التالي ج: جزء، ص: صفحة، ح: حديث.

* إخراج موضوع **((التَّفْسِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لآيَاتِ الصَّدَقَةِ مَعَ بَيَانِ حَلِّ مُشْكِلَةِ الْفَقْرِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ))** في صُورة مُتكاملة.

خطتي في هذا البحث

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مُقدمة- وتمهيد- ومبحثين وخاتمة – وفهرس للموضوعات والمراجع- عرضت في المقدمة: لمحة سريعة عن مضمون هذا البحث ومحتواه- ومصادره، وأسباب اختياري للموضوع، ومنهجي في البحث.

أما التمهيد؛ فيدور الحديث فيه عن: **(الفقر - تعريفه - أسبابه - أثاره)**.

المبحث الأول: **حث الفرد على حل مُشكلة الفقر والتصدي لها، وأثر ذلك في حفظ الكرامة الإنسانية، وفي تأمين الإنسان لقوته وقوت أهله**.

المطلب الأول: اللجوء إلى الله تعالى والتوكل عليه في طلب الرزق.

المطلب الثاني: الحث على العمل ونبذ الراحة.

المبحث الثاني: حث المُجتمع على حل مُشكلة الفقر والتصدي لها، وأثر ذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي.

المطلب الأول: الحث على الزّكاة، وأثرها في تحقيق التكافل الاجتماعي، وفي حفظ أمن المُجتمع.

المطلب الثاني: الحث على الصدقة، وأثرها في سعة الرزق، وفي علاج الفقر من المُجتمع.

المطلب الثالث: "الحث على الإنفاق في سبيل الله، وأثره في تهذيب غريزة حُب التملك؛ وفي الترهيب من البُخل بحق الفقير والمسكين".

أما الخاتمة فجاءت مُلخصة لأهم النتائج؛ لهذا الموضوع الذي توصلت إليه، وأهم التوصيات والمُقترحات التي رأيت فيها إثراءً للمكتبة التفسيرية، خدمةً لكتاب الله العزيز، وسنة حبيبه - صلى الله عليه وسلم -).

أما الفهارس فجعلتها في نهاية البحث؛ لتثبيته وتوثيقه وتسهيل الاستفادة منه. وهي على النحو التالي"

١ - فهرس المصادر والمراجع مُرتبة على حروف المصادر والمراجع.

٢ - فهرس الموضوعات مُرتبة على حسب المُوضوعات الواردة في البحث.

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولي ونعم النصير.

الدراسات السابقة.

من خلال الاطلاع على الرسائل العلمية وجدت بعض الدراسات التي تحمل العناوين الآتية:

١- رسالة علمية بعنوان " دور الجمعيات الأجنبية في التخفيف من مُعدلات البطالة والفقر" اسم الباحث: سامي محمد حسين عودة هدفت الدراسة لبيان دور

الجمعيات الأجنبية في التخفيف من معدلات الفقر والبطالة عبر دعم وتمويل العديد من الأنشطة المحلية الهامة لقطاع غزة مثل الأنشطة الصحية، التشغيلية، التعليمية، إغاثية، طفولة وأخيرة أنشطة محاربة الفقر عبر الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي للبيانات المالية لعينة من أكثر الجمعيات الأجنبية تأثيرا في قطاع غزة لعام ٢٠١٥ م.

٢- رسالة علمية بعنوان **" العلاقة بين انعدام الأمن الغذائي والدخل الكلي للأسرة في جيوب الفقر لمنطقة البادية الشمالية"** للباحثة/ سناء فرحان سعيد السرحان هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى ارتباط الأمن الغذائي بدخل الأسرة الكلي وجيوب الفقر تحديداً في البادية الشمالية الأردنية، وللإجابة على أسئلة الدراسة، تم توزيع استبانة على (٧٥٥) أسرة في البادية الشمالية الأردنية وأظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود ارتباط موجب بين الدخل من التحويلية وكل من متغير الغذاء ومتغير غير الغذاء..

٣- رسالة علمية بعنوان **" تطور مؤشرات الفقر في الدول الإسلامية"** اسم الباحث: محمد يوسف عبيد السنة: ٢٠١٦، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أنواع، وأسباب الفقر، وبيان حجم الفقر في الدول الإسلامية، وبيان الأسباب التي أدت إلى تنامي الفقر في الدول الإسلامية، وقياس تطور مؤشرات الفقر في دول العالم الإسلامي.

٤- كتاب بعنوان" **مُشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام"** للدكتور يوسف القرضاوي وهو عبارة عن كتاب مطبوع، تناول فيه نظرة الإسلام إلى الفقر، وبين وسائل الإسلام في مُعالجته.

٥- بحثاً علمياً بعنوان **"البطالة والفقر في الإسلام بين العلاج والحلول"**، للدكتورة صليحة عشي، وهو عبارة عن بحث قدم إلى المُلتقى الدولي الثاني حول المالية الإسلامية، المُقام في مدينة صفاقس في الجمهورية التونسية.

٥- بحثاً علمياً بعنوان **"مُعالجة مشكلة الفقر في الفكر الإسلامي مع بعض التطبيقات العملية المُعاصرة لها"**، للدكتور صالح بن عبد الله بن عبد المحسن

الفريح، وهو عبارة عن بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية، عدد ٤٥، ذو القعدة ١٤٢٩هـ-، تناول فيه نظرة الإسلام إلى الفقر، ومنهجية الإسلام في مُعالجته، وذكر بعض التطبيقات العملية.

٦- بحثاً علمياً بعنوان **" دور المنهج النبوي في مُكافحة الفقر والبطالة"** وتحقيق التنمية الاقتصادية اسم الباحث / إسماعيل شندي جامعة القدس المفتوحة – فلسطين، والبحث يقتصر على بيان دور المنهج النبوي في مكافحة الفقر والبطالة وبسط النصوص الحديثية ذات الصلة، بالإضافة إلى تناوله مواضيع جديدة كالتنمية الاقتصادية وسبل تحقيقها من خلال نصوص السنة النبوية الشريفة.

أما بحثي الحالي فيقتصر على بيان دور المنهج القرآني في مُكافحة الفقر وعرض الآيات القرآنية ذات الصلة، بالإضافة إلى تناوله مواضيع جديدة كدعوة القرآن الكريم إلى الإنفاق في سبيل الله وأثره في وقاية المُجتمع من الفقر من خلال الآيات القرآنية.

التمهيد: (الفقر - تعريفه - أسبابه - أثاره)

أولاً: تعريف الفقر في اللغة والاصطلاح:

الفَقْر في اللغة: الْحَاجَةُ، والفقْر: ضدّ الغِنى، وَفِعْلُهُ الافْتِقارُ، وَالنَّعْتُ فَقِيرٌ. والْفَقِيرُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ يُقَالَ فَقِرَ يَفْقَرُ مِنْ بَابِ تَعِبَ إِذَا قَلَّ مَالُهُ، والفَقِيرُ: المَكْسُورُ الفَقَارِ، يُضْرَبُ مَثَلاً لكلّ ضَعِيفٍ لاَ يَنْفُذ فِي الأُمُور، وَفِي التَّنْزِيلِ العَزِيز: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ....)[1]. وأغنَى اللهُ مفاقِرَه، أي: وُجُوه فقرِه، والفقر أيضاً: الإِعْوَازُ إِذَا احْتَاجَ الشَّيْءُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ[2].

فالأصل اللغوي لكلمة الفقر هو (فَ قَ رَ)، وهي كلمة تدل على العوز والحاجة ومنها اشتق اسم الفقير، فكأن الفقير مكسور الظهر من شدة حاجته وذلته ومسكنته، وهذا كناية عن الحمل الثقيل المُترتب عليه من قلة المال.

والفقْر في الاصطلاح: عبارة عن فقد ما يحتاج إليه؛ أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يُسمى فقرًا[3].

- **وقيل الفقر**: عدم الشيء بعد وجوده، فهو أخص من العدم؛ لأن العدم يُقال فيه وفيما لم يوجد بعد[4].

و**بالعودة إلى المفهوم الاصطلاحي** للفقر يتّضح أنّه الافتقار إلى الموارد المالية الضرورية؛ لتغطية نفقات المعيشة الأساسية فهو يُشكل حالة من الحرمان

---

(١) [التوبة: ٦٠].

(٢) لسان العرب لابن منظور ج/ ٥، ص/ ٦٠. وتهذيب اللغة للأزهري ج/ ٩، ص/ ١٠٢، مادة (فقر). والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ج/ ٢، ص/ ٤٧٨، مادة (ف ق ر)، وتاج العروس للزبيدي ج/ ١٢، ص/ ٣٣٧. وجمهرة اللغة ج/ ٢، ص/ ٧٨٤. ومُختار الصحاح للرازي ج/ ١، ص/ ٢٢١.

(٣) التعريفات للجرجاني ج/ ١، ص/ ١٦٨.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ج/ ١، ص/ ٢٦٣.

المادي التي تتجلى بعض مظاهرها في العيش في حالةٍ من المرض، وسوء التغذية، والجهل، وعدم القدرة على الحُصول على الحاجات الأساسيّة، التي تجعل من مباهج الحياة أمراً مُستحيلاً.

ثانياً: أسباب الفقر.

توجد العديد من الأسباب والعوامل التي تؤدّي إلى الفقر، وفيما يأتي بيان البعض منها:

[١] القعود والتكاسل عن العمل سببٌ للفقر.

فمما لا شك فيه أن الكسل عن العمل، وترك أسباب الرّزق والاتكاليّة من أسباب الفقر، وضيق الرزق؛ فلا يُتصوّر بحال أن يرزق الله ـ تعالى ـ الإنسان وهو في بيته، مُتكِّل على غيره في الإنفاق عليه،؛ لذا جعل لإسلام العمل هو وسيلة تحصيل الرّزق وسبب من أسبابه، وذلك بالجدّ والاجتهاد والمبادرة والبحث باستمرار عن الحلول التي تفتح الآفاق الواسعة أمام الإنسان. .

[٢] الكفر والمعاصي سببٌ للفقر، والايمان والتقوي وقاية من الفقر كما توضحه بعض الآيات الكريمة؛ مثل قول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾**﴾(١).

يقول القرطبي: "فَجَعَلَ تَعَالَى التُّقَى مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ كَمَا فِي هَذِهِ الآيَةِ، وَوَعَدَ بِالْمَزِيدِ لِمَنْ شَكَرَ فقال: "﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ (٢) ولما كان

(١) [الأعراف: ٩٦].
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج/ ٦، ص/ ٢٤١.

الخير الإلهي يُصدر من حيث لا يُحس، وعلى وجه لا يُحصى ولا يُحصر، قيل لكل ما يُشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مُبارك وفيه بركة"(١).

فلو جمع الناس بين الإيمان بالله - تعالى - وتقواه التي تدعوهم إلى أن يتركوا الفساد فلا يظلم بعضهم بعضاً ولا يقعون في الفواحش ولا يأكلوا أموال بعضهم بالباطل ويقفون عند حدود الحلال بماذا يكافئهم الله تعالى على ذلك؛ لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض يصب الله تعالى عليهم الخير صباً. خيراً لم يعهدوه من قبل لا مجتمعاً ولا متفرقاً لقد تركوا المُحرمات لله فعوضهم الله تعالى ما هو خيراً منها.

[٣] **الامتناع عن أداء الزكاة وتضييعها**، وإهمال الأغنياء لحقوق الفقراء كل ذلك له أثر كبير في انتشار الفقر والقلة والحرمان في المُجتمع؛ فالفقير له حصةٌ من أموال الزكاة، فإن قام الأغنياء بأداء زكاة أموالهم فإن حاجة الفقراء تُسد، وتسود بينهم الألفة والمحبة والمودة، وإلا فإن الحسد والشقاق والنهب يظهر ويتزايد بسبب امتناع الأغنياء عن أداء حقوق الفقراء إليهم.

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأداء حق الله - تعالى - في هذا المال، فأمرهم أولا بكسبه من حلال وإنفاقه في حلال، وأوجب على من بلغ ماله النصاب وحال عليه الحول أن يخرج زكاته طيبة بها نفسه، فقد ورد في كثير من الآيات الأمر بأداء الزكاة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(٢).

يقول الشيخ رشيد رضا في تفسيره المسمى " المنار" " وَلِلْفَقْرِ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الضَّعْفُ وَالْعَجْزُ عَنِ الْكَسْبِ وَمِنْهَا إِخْفَاقُ السَّعْيِ، وَمِنْهَا الْبَطَالَةُ وَالْكَسَلُ، وَمِنْهَا الْجَهْلُ بِالطُّرُقِ الْمُوَصِّلَةِ، وَمِنْهَا مَا تَسُوقُهُ الْأَقْدَارُ مِنْ نَحْوِ

(١) المُفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ج/ ١، ص/ ١٢٠.
(٢) [البقرة: ٤٣].

حَرَكَاتِ الرِّيَاحِ وَاضْطِرَابِ الْبِحَارِ وَاحْتِبَاسِ الأَمْطَارِ، وَكَسَادِ التِّجَارَةِ وَرُخْصِ الأَسْعَارِ، وَالأَغْنِيَاءُ مُتَمَكِّنُونَ مِنْ إِزَالَةِ بَعْضِ هَذِهِ الأَسْبَابِ أَوْ تَدَارُكِ ضَرَرِهَا وَإِضْعَافِ أَثَرِهَا، كَإِزَالَةِ الْبِطَالَةِ بِإِحْدَاثِ أَعْمَالٍ وَمَصَالِحَ لِلْفُقَرَاءِ، وَإِزَالَةِ الْجَهْلِ بِالإِنْفَاقِ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ- تَعْلِيمِ طُرُقِ الْكَسْبِ وَالتَّرْبِيَةِ عَلَى الْعَمَلِ وَالاِسْتِقَامَةِ وَالصِّدْقِ.... " (١).

ثالثاً: آثار الفقر على الفرد والمجتمع.

يُؤثّر الفقر على المُجتمعات بشكلٍ كبيرٍ وواضحٍ على مُختلف المُستويات، وبمُختلف أنواع التأثيرات، وفيما يأتي بيان بعضها:

[١] **يُؤثر الفقر بشكلٍ كبيرٍ** على التعليم، فالفقير لا يلقي للتعليم بالاً، فأولوياته محصورةٌ في سدّ احتياجاته من الأكل، والشرب، واللباس، والعلاج؛ ممّا يجعل التعليم بالنسبة له من الأمور الثانوية؛ وذلك بسبب عدم قدرته على تحصيله، وبالتالي يرى الفقير أنّ الأفضل له ولأولاده عدم الالتحاق بالمدارس، وإنّما الالتحاق بما يحقّق لهم مصدراً للدخل؛ ممّا يؤدي بدوره إلى اقتصار التعليم على الأغنياء، وزيادة معدلات البطالة؛ فالفقراء لا يرفدون الأسواق بما تحتاجه من متطلباتٍ، كما أنّ ذلك يؤدي إلى ارتفاع نسبة الجرائم، وتفشّي الرذائل والفواحش.

[٢] **يُؤثر الفقر على إبداع** أفراد المجتمع، ممّا يؤدي إلى عدم الابتكار، فيتعطّل المجتمع عن التقدّم والتطوّر؛ وذلك بسبب قلّة إمكانات الفقير، وعدم قدرته على مواكبة التطورات الحديثة، فالمواكبة تحتاج إلى قدراتٍ ماديةٍ كبيرةٍ، وينتج عن الفقر أيضاً انتشار الأميّة في المجتمعات، وانتشار الأمراض أيضاً، فالمرض يُلازم المجتمع الفقير.

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ج/ ٢، ص/ ٣٦٨.

[٣] **يُعيق الفقر تنمية الإنسان**، بل إنّه العائق الأكبر أمام التنمية، فالفقير يعجز عن استغلال الكثير من الأمور الممنوحة بالنسبة له بسبب فقره، ممّا يؤدي إلى عدم تطوّره، كما يُحرمه أيضاً من الرفاهية؛ ممّا يؤدي إلى انعزاله عن المُجتمع بشكلٍ كبيرٍ.

[٤] **يُؤدي الفقر إلى انتشار الأمراض** بين أفراد المجتمع وتفشيّها، ويرجع السبب في ذلك إلى التغذية السيئة، مع عدم القدرة على توفير الدواء المطلوب لعلاج الأمراض، وذلك واضحٌ بشكلٍ كبير في الدول النامية؛ ممّا يؤدي إلى زيادة أعداد الوفيات، وذلك عائدٌ إلى النقص في الخدمات، والرعاية الصحية، وكذلك الخدمات الأساسية من المياه الصالحة للشرب، وتوفير السكن المُناسب.

[٥] **ظهور بعض المشاكل الخطيرة** في المُجتمع، ومنها؛ السرقة، والربا، والاحتكار، وبيع المحرمات، والقتل.

[٦] **يُؤدي الفقر؛ لتفكك الأسرة**؛ لعدم المقدرة على تلبية مطالب العائلة؛ وذلك يؤدي لتفكك المجتمع، واستغلال الوضع المالي بإقناع بعض الأفراد بأفكارٍ سيئة وأعمال خطيرة ومُحرمة(١).

[٦] **ومن مخاطر الفقر الانشغال** بالرزق عن العبادات والطاعات، وربما الوقوع في المحظور الذي يستوجب عقاب الله تعالى؛ فقد يؤدي الفقر لقتل الأولاد؛ خشية الفقر، وهذا ما حذر منه الشارع الحكيم، وقد ذكر الله تعالى عن المُشركين أن بعضهم كان يقتل ولده فلذة كبده إما من الفقر الذي يعيشه، أو خشية أن يُصيبه الفقر، قال تعالى في الصنف الأول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ

(١) كيف حارب الإسلام الفقر تمت الكتابة بواسطة: طلال مشعل، آخر تحديث: ٠٦: ٢٦، ١٤ نوفمبر ٢٠١٨، عبر موقع الانترنت https: //mawdoo٣. com/.

﴿ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾(١) . وقال تعالى في الصنف الثاني: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾(٢) .

ولهذا الأثر السيء الذي يُسببه الفقر؛ استعاذ منه رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - فقد ورد في السنة ما كان يفعله النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ويُعلِّمه أمته، وهو الاستعاذة بالله - تعالى - من الفقر؛ لما له من أثر على النفس، والأسرة، والمجتمع، **فقد روي عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ، وَالْمَغْرَمِ ومن فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، ومِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ،....»**(٣).

وقوله: " ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ" هِيَ الْحَسَدُ عَلَى الأَغْنِيَاءِ وَالطَّمَعُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَالتَّذَلُّلُ بِمَا يُدَنِّسُ الْعِرْضَ وَيَثْلِمُ الدِّينَ وَعَدَمُ الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لاَ تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ(٤).

ولهذا حارب الإسلام الفقر وتصدى له بوسائل كثيرة، وذلك؛ لأن الفقر من المشاكل التي تُؤدي إلى مخاطر كثيرة تعود على الفرد والمجتمع بالضرر والفساد.

---

(١) [الأنعام: ١٥١].
(٢) [الإسراء: ٣١].
(٣) جُزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب/ الدعوات، باب/ التعوذ من المأثم والمغرم، ج/ ٨، ص/ ٧٩، ح رقم (٦٣٦٨).
(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفورى، ج/ ٩، ص/ ٣٢٨.

المبحث الأول

حث الفرد على حل مُشكلة الفقر والتَّصَدِّي لها، وأثر ذلك في حفظ الكرامة الإنسانية، وفي تأمين الإنسان لقوته وقوت أهله.

- **المطلب الأول: اللجوء إلى اللّه تعالى والتوكل عليه في طلب الرزق.**
- **المطلب الثاني: الحث على العمل ونبذ الراحة.**

المبحث الأول: حث الفرد على حل مُشكلة الفقر والتَّصَدِّي لها، وأثر ذلك في حفظ الكرامة الإنسانية، وفي تأمين الإنسان لقوته وقوت أهله.

لما كان الفقر حالة لا يستطيعُ الفقيرُ فيها القيامَ بمناشِطِ الحياة وحيويتها؛ فتبرُزُ صُورٌ من انتشار الأمراض، وسوء التغذية، والوفيات، ونقص التعليم وقلَّة فُرصه؛ أولى الإسلام اهتماماً خاصاً بالحدّ من الفقر، وحثّ على مُحاربته وذلك بالعديد من الوسائل والأساليب والطُّرق، وفيما يأتي مجموعةٌ من الطُّرق والوسائل التي اعتمَدها الإسلامُ لحَلّ مُشكلة الفقر والتخلّص منها.

المطلب الأول: اللجوء إلى الله تعالى والتوكل عليه في طلب الرزق.

من الطرق والوسائل التي اتخذها القرآن الكريم؛ لحل مشكلة الفقر وعلاجها: تعليم الناس الاعتقاد الصحيح بأن الرزق من الله - تعالى -، وأنه هو الرزاق، فقد قرَّر لهم- سبحانه- حقيقة يقينية من أصول العقائد الحقة، وهي أنه وحْده- سبحانه- هو الرزاق، فلا رازق غيره، كما لا ربَّ سواه، فالرزق كله عنده، وحظُّ العبد منه ما قسَمه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾(١) . وقال- سبحانه-: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ (٢). وقال- سبحانه-: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (٣) ، وقال تعالى:

(١) [الذاريات: ٥٨].
(٢) [الشورى: ١٩].
(٣) [الذاريات: ٢٢].

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ (١) . وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (٢).

فسمَّى- سبحانه- نفسه الرزاق، وتمدَّح بالرزق، وجعَل ذلك من صفاته العَليَّة، وأفضاله الجليَّة، وأفعاله الحكيمة التي يستحق- سبحانه- الثناء عليها من كلِّ وجه وبكلِّ اعتبار، ويستحق التوحيد والشكر عليها من الأخيار والفُجار، فهو- سبحانه- الذي يُيسِّر الأسباب، ويَفتح للرزق الأبواب، ولقد أثنى الله- تبارك وتعالى- على نفسه بالغنى المُطلق عن جميع الخلْق، وحاجة الخلق إليه، فقال تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾(٣).

أي: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتُنْجِح لديه حوائجكم ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال(٤).

فالله - سبحانه وتعالى - مُتكفِّل بأرزاق الخلق من سائر دواب الأرض؛ صغيرها وكبيرها، بحريِّيها وبريِّيها: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾(٥).

---

(١) [المُلك: ٢١].
(٢) [الإسراء: ٧٠].
(٣) [فاطر: ١٥].
(٤) جامع البيان لابن جرير الطبري ج/ ٢٠، ص/ ٤٥٤.
(٥) [العنكبوت: ٦٠].

فأخبر سبحانه أنه المُنفرد برزق الكل كما انفرد بخلقهم، وقدم- سبحانه- رزق الدابة التي لا تستطيع تحصيله، على رزقهم فقال: اللهُ يَرْزُقُها وَإِيَّاكُمْ؛ لينفي من قلوب الناس القلق على الرزق، وليشعرهم بأن الأسباب ليست هي كل شيء، فإن واهب الأسباب، لا يترك أحداً بدون رزق؛ ولإزالة ما قد يخطر في النفوس من أن الهجرة من أجل إعلاء كلمة الله قد تنقص الرزق.. وقوله: ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ﴾ أي: لا تُطيق أن تحمله؛ لضعفها عن حمله ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ الْعَذَابُ لا يرزق تلك الدّواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضاً أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل رزقها (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾. فأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ مُتَكَفِّلٌ بِأَرْزَاقِ الْمَخْلُوقَاتِ، مِنْ سَائِرِ دَوَابِّ الأَرْضِ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، بَحْرِيِّهَا، وَبَرِّيِّهَا، وَأَنَّهُ **{يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا}** أَيْ: يَعْلَمُ أَيْنَ مُنتهى سَيْرِهَا فِي الأَرْضِ، وَأَيْنَ تَأْوِي إِلَيْهِ مِنْ وَكْرِهَا، وَهُوَ مُسْتَوْدَعُهَا(٢).

فالله - عز وجل - يرزق كلَّ دابة في الأرض، حتى التي لا تطيق جمع رزقها وتحصيله.

وقد أجمعت كُتُب الله المُنزَّلة على ابتغاء الرزق من الله، وعدم التِماسه أو انتظاره من أحد سواه، فالرزق عند الله، وليس عند أحدٍ من الخلق؛ كما قال

(١) التفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر د سيد طنطاوي ـ رحمه الله ـ ج/ ١١، ص/ ٥٣، وتفسير النسقي ج/٣، ص/ ٦٨٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ٤، ص/ ٣٠٥.

إبراهيم- عليه السلام- لقومه: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ (١).

يقول الشوكاني في تفسيرها: "أي: اصْرِفُوا رَغْبَتَكُمْ فِي أَرْزَاقِكُمْ إلَى اللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي عِنْدَهُ الرِّزْقُ كُلُّهُ، فَاسْأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَوَحِّدُوهُ دُونَ غَيْرِهِ وَاشْكُرُوا لَهُ أَيْ: عَلَى نَعْمَائِهِ، فَإِنَّ الشُّكْرَ مُوجِبٌ لِبَقَائِهَا وَسَبَبٌ لِلْمَزِيدِ عَلَيْهَا " (٢).

فيتعيَّن على المرء أن يطلب الرزق من الله - عز وجل -، وألاَّ يُعلِّق قلبه بغير الله تعالى، وأن يلتمس الأسباب التي دلَّنا عليها الله - سبحانه وتعالى - ، ومن الخطأ ألاَّ يهتمَّ المسلِم بطلب الرِّزق الحلال؛ فهذا مُخالِف لما أمر الله به عباده، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (٣) . أي: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله} من الثياب وما يُتجمَّل به ﴿ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من النبات كالقُطن والكتّان والحيوان كالحرير والصوفِ والمعادن، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ اسْمٌ عَامٌّ لِمَا طَابَ كَسْبًا وَطَعْمًا فهَذِهِ الآيَة تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الأَصْلَ فِي الْمَنَافِعِ وَاللَّذَّاتِ الإِبَاحَةُ وَالْحِلُّ. (٤)

---

(١) [العنكبوت: ١٧].
(٢) فتح القدير للشوكاني ج/ ٤، ص/ ٢٢٧.
(٣) [الأعراف: ٣٢].
(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ١٤، ص/ ٢٨٣. وتفسير أبو السعود ج/ ٣، ص/ ٢٢٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج/ ٧، ص / ١٩٨.

فعلى الإنسان أن يلجأ إلى الله تعالى وحده في طلب الرزق، وأن يرضى بقضاء الله، ويسعى بطلب الرزق. فالرزق عند الله يوسعه على من يشاء، ويضيقه على من يشاء فالقبض والبسط في الرزق من عند الله الذي لا تُفتى خزائنه قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (١).

قال ابن كثير– رحمه الله - ": إِخْبَارٌ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الرَّزَّاقُ، الْقَابِضُ الْبَاسِطُ، الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، فَيُغْنِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُفْقِرُ مَنْ يَشَاءُ، بِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: **(إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا)** أَيْ: خَبِيرٌ بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ "(٢). وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ أَنَّ الْبَسْطَ وَالْقَبْضَ إِنَّمَا هُمَا مِنْ أَمْرِ اللهِ الَّذِي لاَ تَفْنَى خَزَائِنُهُ، فَأَمَّا عِبَادُهُ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتَصِدُوا **(إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا)** أَيْ: يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ خَافِيَةٌ، فَهُوَ الْخَبِيرُ بِأَحْوَالِهِمُ، الْبَصِيرُ بِكَيْفِيَّةِ تَدْبِيرِهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ. وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِأَرْزَاقِ عِبَادِهِ..... (٣).

وقد مدح الله الذين يجمعون بين العبادة وطلبِ الرِّزق، ولا تشغلهم الدنيا عن ذِكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾(٤).

فالآية الكريمة مُفيدةٌ لكمال تبتُّلِهم إلى الله تعالى واستغراقهم فيها حُكي عنهم من التَّسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطفٍ يثنيهم كائناً ما كان أي لا يشغلُهم

(١) [الإسراء: ٣٠].
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ٥، ص/ ٧١.
(٣) تفسير فتح القدير للشوكاني ج/ ٣، ص/ ٢٦٤.
(٤) [النور: ٣٧].

نوعٌ من أنواعِ التِّجارةِ {وَلاَ بَيْعٌ} أي ولا فردٌ من أفراد البياعاتِ وإنْ كانَ في غايةِ الرِّبح (١).

وقد أباح الله التجارةَ حتى عند أداء مناسك الحجِّ، فقال سبحانه: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾(٢). لأن العرب تحرجت لما جاء الإسلام أن يحضروا أسواق الجاهلية كعكاظ وذي المجاز ومجنة، فأباح الله تعالى ذلك، أي لا درك في أن تتجروا وتطلبوا الربح(٣). فَفِي الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التِّجَارَةِ فِي الْحَجِّ لِلْحَاجِّ مَعَ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ، وَأَنَّ الْقَصْدَ إلَى ذَلِكَ لاَ يَكُونُ شِرْكًا وَلاَ يَخْرُجُ بِهِ الْمُكَلَّفُ عن رسم الإخلاص المفترض عليه (٤).

وذكر الله أنَّ من نِعَمه على عباده أن يسَّر لهم أسبابَ طلب الرزق، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾(٥).

أي: فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يُخلق لها شعاعاً كشُعاع الشمس، فترى به الأشياء رؤية بينة، وجعلنا الشمس ذات شُعاع يُبصر في ضوئها

(١) تفسير أبو السعود ح/ ٦، ص/ ١٧٩.
(٢) [البقرة: ١٩٨].
(٣) تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز، ج/ ١، ص/ ٢٧٤.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج/ ٢، ص/ ٤١٣.
(٥) [الإسراء: ١٢]

كل شيء لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ؛ لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم(١).

وإذا كان دعاء الله تعالى وصِدق اللجوء إليه، وتعاطي ما أباحه الله وشرَعه من الأسباب، مع حُسن الظن به - سبحانه- في طليعة أسباب تحصيل الرزق من الحق - سبحانه -، فإن للصلاة- فريضة ونافلة- أثرًا مباركًا في تيسير الرزق المعنوي والمادي وتعجيله؛ قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾(٢).

أي: لاَ نُكَلِّفُكَ أَنْ تَرْزُقَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِنَا، وَلاَ أَنْ تَرْزُقَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا نُكَلِّفُكَ عَمَلاً {نَحْنُ نَرْزُقُكَ فلا تهتم لأمر الرزق وفرغ بالك بأمر الآخرة؛ لأن من كان في عمل الله كان الله في عمله وَالْعَاقِبَةُ} الْخَاتِمَةُ الْجَمِيلَةُ الْمَحْمُودَةُ، {لِلتَّقْوَى} أَيْ لأَهْلِ التَّقْوَى(٣).

فتوحيد الله تعالى في الباطن من النية والقصد والافتقار وحُسن الظن، وتوحيد الله في الظاهر بالمُحافظة على الصلاة، وفعْل الطاعات، هي جِماع أسباب الرزق.

وقد بين - عزوجل - أن من معاني ربوبيته - سبحانه وتعالى - على خَلْقِهِ أنه هو الذي يرزقهم ويُعطيهم ألوانًا من النِّعَم والآلاء قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَٰنُ إِلَىٰ

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج/ ٢، ص/ ٦٥٢.
(٢) [طه: ١٣٢].
(٣) تفسير البغوي، ج/ ٥، ص/ ٣٠٤، وتفسير النسفي المسمى " مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ج/ ٢، ص/ ٣٩١.

طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾(١).

يقول القرطبي عند تفسير هذه الآيات " لَمَّا ذَكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ابْتِدَاءَ خَلْقِ الإِنْسَانِ ذَكَرَ مَا يَسَّرَ مِنْ رِزْقِهِ، أَيْ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ طَعَامَهُ. وَهَذَا النَّظَرُ نَظَرُ الْقَلْبِ بِالْفِكْرِ، أَيْ: لِيَتَدَبَّرْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ طَعَامَهُ الَّذِي هُوَ قِوَامُ حَيَاتِهِ، وَكَيْفَ هَيَّأَ لَهُ أَسْبَابَ الْمَعَاشِ، لِيَسْتَعِدَّ بِهَا لِلْمَعَادِ"(٢).

أثر التقوى والتوكل على الله في جلب الرزق ٠

ومن أعظم الأسباب لنَيلِ الأرزاق هو التوكل على الله - سبحانه وتعالى -؛ بأن يفوِّضَ أمره إلى الله، ويعتمد قلبه على الله، ومن يتوكل على الله - عز وجل - في طلب الرزق فهو حسبه قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٣). أي: كافيه؛ **فبينت الآية الكريمة**: **أن** الإنسان متى اتقى الله- تعالى- وأطاعه، جعل له- سبحانه- من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً، ورزقه من حيثُ لا يحتسب، وصانه من السوء(٤).

ولهذا يقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي: عند تفسير الآية الكريمة " فإن على الإنسان أن يعمل في الأسباب، ولكنه لا يأخذ حساباً من الأسباب، ويظن أن ذلك هو رزقه؛ لأن الرزق قد يأتي من طريق لم يدخل في حسابك ولا في حساباتك،،، " (٥).

---

(١) [عبس: ٢٤ ـــ ٣٢].
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج/ ١٩، ص/ ٢٢٠.
(٣) [الطلاق: ٢، ٣].
(٤) التفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر د سيد طنطاوي ـ رحمه الله ـ ج/ ٨، ص/ ٥٠٣،
(٥) تفسير الشعراوي المسمى خواطر الشيخ الشعراوي حول القرآن الكريم، ج/ ٣، ص/ ٩٠٢.

فالتوكُّل على الله تعالى بتفويض الأمر إليه، وصِدق الاعتماد عليه، مع الثقة به، وتعاطي ما شرَعه الله- سبحانه- لتحصيل المطلوب واتِّقاء المرهوب- من أكرم الخصال التي يُستجلَب بها الرزق. وتقوى الله بترْك المُخالفات، والتوبة إلى الله تعالى من الخطيئات- هي جِماع أسباب الرزق، وموجبات الغنى عن الخَلق.

ومن أعظم الأسباب التي تدل على التقوى: الإنابة باستغفار الله - عز وجل - والتوبة إليه، وأن يوافق لسانه وعمله قلبَه في ترك الذنب، والندم على ما فعل، وأن يعزم ألاَّ يعود، وأن يتدارك ما فاته من الأعمال الصالحة: قال تعالى على لسان نوح- عليه السلام-: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (١). وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم: استغفروا ربكم أي: من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه وذلك؛ لأن الاشتغال بالطاعة يكون سبباً لاتساع الخير والرزق؛،،، فإذا اشتغلوا بالإيمان والطاعة حصل ما يحتاجون إليه في الدنيا(٢).

فعلى المرء الذي يُريد ما عند الله - عز وجل - أن يتَّقِيَ الله، وأن يعمل بطاعة الله، وأن يتوب إلى الله - عز وجل - ويستغفره، وأن يتبرأ من كل ذنب عصى الله - عز وجل - به، وأن يبتعد عن شُبهات الحرام، فالله جعل الحرمان من الرزق، والحاجة إليه؛ نتيجة يُرهبُ بها من اجترح السيئات: يقول- تعالى-: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ

(١) [نوح: ١٠، ١١، ١٢]
(٢) تفسير الخازن ج/ ٤، ص/ ٣٤٥.

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾(١).

فنبَّه القرآنُ الكريمُ إلى أن الجوعَ عذابٌ ساقَه الله إلى بعض الأُمم الكافرةِ بنِعَمه وفي المُقابِل؛ فقد امتنَّ الله على قُريشٍ بأن أطعمَهم من جُوعٍ، وآمنَهم من خوفٍ قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ (٢).

فعلى الإنسان أن يحتاط لدينه، وأن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يستقيم على الصلاة والمُحافظة عليها، وأن يتحرى الحلال في مأكله ومشربه. فمن أراد سعة الرزق، والبسطة في المال؛ فعليه بتقوى الله تعالى، وطاعة أمره، واجتناب نهيه، فإن هذا أعظم سبل سعة الرزق.

من خلال ما سبق: **يتبين أنه على الإنسان** أن يلجأ إلى الله - تعالى وحده في طلب الرزق، وأن يرضى بقضاء الله، ويسعى بطلب الرزق وأن يبذل الجهد في رفع الفقر عن نفسه وأهله؛ لأن الأموال قيامٌ لحياة الناس، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾(٣).

قال المفسِّرون: أيْ جَعَلَهَا قِوَامَ مَعَايِشِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ وَالسُّفَهَاءُ هُمُ الْمُسْرِفُونَ الْمُبَذِّرُونَ لَهَا؛ لِصِغَرِ سِنِّهِمْ دُونَ الرُّشْدِ أَوْ لِفَسَادِ أَخْلَاقِهِمْ وَضَعْفِ عُقُولِهِمْ؛

(١) [النحل: ١١٢].
(٢) [قريش: ٣، ٤].
(٣) [النساء: ٥].

وَالْمَعْنَى: أنَّ الأموال صَلاَحٌ لِلْحَالِ وَثَبَاتٌ لَهُ (١). فأكد على أن المال ركن هام لإقامة الدين والدنيا.

وكما أخبر- سبحانه- عباده أن أمْر الرزق عنده، وأن حظَّ العبد منه ما قسَمه، وحثَّ عباده على ابتغاء فضْله، والشكر له – أخبر أيضاً أنه - سبحانه - شرَع لهم وسائل كسْبه، وأباح لهم أسباب تحصيله، وأمرهم بتعاطيها، وابتغاء فضل الله - تعالى - فيها، وجعَل ذلك من كريم الطلب، ونفيس القُرب، ووعَدهم على ذلك بجزيل الثواب، والرزقَ من غير حساب.

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج/ ١١، ص/ ٢٢٦.

المطلب الثاني: الحث على العمل ونبذ الراحة:

لما كان العمل وسيلة تحصيل الرزق؛ فهو جالبُ المال، وعامِرُ الأرض، وأساسُ الاقتصاد والإنتاج، والغِنَى، والعَفاف، والكفاف، والثَّراء؛ جاءت العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلى أهميّة العَمل وضرورته للمُسلم، وأنه لا ينبغي عليه أن يَقعُدَ عن السّعي والمشي في الأرض؛ لكسب الرزق مهما كانت الأسباب.

وقد جاء الحث على العمل، وطلب الرزق في الكثير من النصوص القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(١) أيْ: إذَا فُرِغَ مِنَ الصَّلاَةِ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِّ أيْ: مِنْ رِزْقِهِ الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الأَرْبَاحِ فِي الْمُعَامَلاَتِ وَالْمَكَاسِبِ(٢).

فقد أذن الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية لعباده بالسعي عقب صلاة الجمعة بهدف توفير القوت لهم ولِعيالهم، وتحصيل الربح من خلال البيع والشراء والتجارة عموماً، وغير ذلك من الوَسائل المُتاحة لكل مجتمعٍ.

ويُؤكِّد القرآن الكريم أن الله خلقَ الأرضَ، وبارَكَ فيها، وقدَّرَ فيها أقواتَها، وأودعَ في ظهرها وبطنها من البركات والخيرات المنشورة، ما يكفي جميعَ عباد الله قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٣).

---

(١) [الجمعة: ١٠].

(٢) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ج/ ٥، ص/. ٩٣. وفتح القدير للشوكاني ج/ ٥، ص/٢٧١.

(٣) [الأعراف: ١٠].

قال أبو حيان: " ومعنى التمكين في الأرض التمليك والقدرة والخطاب لقريش، وكان الله تعالى قد فضلهم على العرب، وكانوا يتجرون فيما بين مكة والشام واليمن آمنين، ويكسبون الأموال، وهو قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ وهي جمع المعيش والمعيشة وهي ما يُعاش به من المكاسب والتجارات... "(١).

فالآية الكريمة امتنان من الله - تعالى - على عباده بنعمة بالتمكين في الأرض، والتصرف فيها، وما خلق فيها من الأرزاق، والمنافع، ووجوه النعم، وطلب الاستفادة منها. حتى يتمكنوا من العيش عيشاً هنيئاً.

ونبه القرآن الكريم على أن الأرض مليئة بالخيرات والبركات والأرزاق المبثوثة لكن لا تُنالُ إلا بجهدٍ يُبذل، وعملٍ يُؤدَّى، وسعيٍ دَؤُوبٍ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (٢). معنى: ﴿ذَلُولًا عَلِيمٌ﴾ أيْ: سَهْلَةً تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا. وَالذَّلُولُ الْمُنْقَادُ الَّذِي يَذِلُّ لَكَ. أيْ لَمْ يَجْعَلِ الأَرْضَ بِحَيْثُ يَمْتَنِعُ الْمَشْيُ فِيهَا بِالْحُزُونَةِ وَالْغِلْظَةِ. وَقِيلَ: أيْ ثَبَّتَهَا بِالْجِبَالِ لِئَلاَّ تَزُولَ بِأَهْلِهَا، وَلَوْ كَانَتْ تَتَكَفَّأُ مُتَمَائِلَةً لَمَا كَانَتْ مُنْقَادَةً لَنَا. وَقِيلَ: أشَارَ إلَى التَّمَكُّنِ مِنَ الزَّرْعِ وَالْغَرْسِ وَشَقِّ الْعُيُونِ وَالأَنْهَارِ وَحَفْرِ الآبَارِ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾هُوَ أمْرُ إبَاحَةٍ، وَفِيهِ إظْهَارُ الامْتِنَانِ. وَقِيلَ: هُوَ خَبَرٌ بِلَفْظِ الأَمْرِ، أيْ لِكَيْ تَمْشُوا فِي أطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا وَآكَامِهَا وَجِبَالِهَا. ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ والتمسوا من نعم الله. ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم(٣)..

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي ج/ ٢، ص/ ٣٥٢.
(٢) [المُلك: ١٥].
(٣) تفسير الكشاف للزمخشري ج/ ١٨، ص/ ٢١٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج/ ١٨، ص/٢١٤، وأنوار التنزيل للبيضاوي ج/ ٥، ص/ ٢٣٠.

فالآية الكريمة أمر من الله تعالى بالمشي في مناكب الأرض والانتشار فيها، بممارسة كافة العمليات الإنتاجية والحرفية؛ **فهي نصٌ في طلب الرزق** وتحصيله بالعمل وعدم الركون للراحة؛ فينبغي على المُسلم أن يسعى في طلب الرزق وتحصيله بالعمل، وقد مهّد الله- سبحانه وتعالى- الأرض للناس لتلك الغاية؛ لذا يجب عليهم استغلال ذلك في تحقيق الاكتِفاء من خلال العمل والكدّ بما أوتوا من طاقةٍ لأجل ذلك.

ومنها قول الله- سبحانه وتعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾(١) . وَالإِزْجَاءُ: سَوْقُ الشَّيْءِ حَالاً بَعْدَ حَالٍ، ، وَالْمَعْنَى: رَبُّكُمُ الَّذِي يُسَيِّرُ الْفُلْكَ عَلَى وَجْهِ الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي طَلَبِ التِّجَارَةِ، والآية الكريمة إخبار من اللهُ تَعَالَى عَنْ لُطْفِهِ بِخَلْقِهِ فِي تَسْخِيرِهِ لِعِبَادِهِ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ، وَتَسْهِيلِهَا لِمَصَالِحِ عِبَادِهِ؛ لابْتِغَائِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ فِي التِّجَارَةِ مِنْ إِقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا، وَالْمُرَادُ مِنَ الرَّحْمَةِ مَنَافِعُ الدُّنْيَا وَمَصَالِحُهَا(٢).

فقد جعل الله - سبحانه وتعالى - جميع ما في الحياة الدنيا مُيسَّرا للإنسان لتحصيل قوته وتأمينه، حتى إنّ السُفن في البحر سُخّرت، لنقل الناس من مكان إقامتهم إلى عوالم أخرى لم يكونوا بالغيها إلا بكدِّ الأنفس، فجاءت الفلك؛ تيسيراً لتنقلهم لغايات الوصول إلى أرزاقهم في شتّى أصقاع الأرض بشكلٍ يسير.

وبالتأمل في القرآن الكريم نجد أن أنبياء الله - عليهم السلام -، مع عظمتهم وشرف رسالتهم، كانوا يُمارسون شتى الحِرَفِ والأعمال، فنوح عليه السلام

(١) [الإسراء: ٦٦].
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢١، ص/ ٣٧١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ٩٥، ص/ ٩٥.

مارس مهنة صناعة السفن قال تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ (١)

وداود - عليه السلام - الذي كان خليفةً في الأرض، ومع ذلك كان لا يأكل إلا من عمل يده، فأصبح حدادًا يصنع الدروع؛ قال الله تعالى عنه: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾(٢).

يقول القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: " هَذِهِ الآيَةُ أَصْلٌ فِي اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ وَالأَسْبَابِ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْعُقُولِ وَالأَلْبَابِ، لاَ قَوْلُ الْجَهَلَةِ الأَغْبِيَاءِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا شُرِعَ لِلضُّعَفَاءِ، فَالسَّبَبُ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ فَمَنْ طَعَنَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ طَعَنَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ"(٣).

فأخبر الله تعالى عن نبيه داود - عليه السلام - أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضًا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثًا، ونوح نجارًا، ولقمان خياطًا؛ وقد بيّن النبيّ- عليه الصّلاة والسلاّم- أنّ أفضل الطعام؛ ما يؤكل من عمل اليد، حيث قال: **«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»**(٤).

فالحديث يُشير إلى أهميّة العَمل ودَوره في عِلاج مُشكلة الفقر، وأنّه ما أكل المسلم طعاماً قط خيراً له ممّا كسبته يده، وأن الأنبياء الذين هم خيرُ أهل الأرض لم يَعمدوا للجلوس والراحة بل عملوا وأكلوا ممّا جَنته أيديهم بما أتيح لهم.

---

(١) [هود: ٣٧].
(٢) [الأنبياء: ٨٠].
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج/ ١١، ص/ ٣٢١.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب / البيوع، باب / كسب الرجل وعمله بيده ج/٣، ص/ ٥٧، ح رقم (٢٠٧٢).

و"**كان زكريا - عليه السلام - نجارًا**، فكان يصنع ويُصلح الأخشاب، ونبي الله موسى - عليه السلام - أجَر نفسه راعيًا للغنم عشر سنين؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾(١).

فالصنعة؛ يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس.

وحث الإسلام على الزراعة: **ففي صحيح البخاري** أن رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةً»**(٢).

ففي الحديث حض الإنسان على عمارة الأرض؛ لتعيش نفسه أو من يأتي بعده ممن يؤجر فيه، وذلك يدل على جواز اتخاذ الصناع، وأن الله- تعالى- أباح ذلك لعباده المؤمنين لأقواتهم وأقوات أهليهم طلبًا للغنى بها عن الناس، وفساد قول من أنكر ذلك(٣)

فالإنسان في أصل نشأته جُبل على طلب الرزق والكدِّ لأجل ذلك باتّباع كل الوسائل والطرق، لما لهذا التعب والكد من أثر بالغ في تأمين المُسلم لقوت عياله إن أحسن استِغلال ذلك.

وبالتأمل في المجتمع من حولنا: نجد أن من الناس من يدَعُ العملَ، لأنه لم يتيسَّر له في بلده وعند أهله؛ فيُؤثِرُ البَطالةَ والحاجةَ والحِرمان على السعي والسَّعَة والعفافِ والغِنى؟! وما علِموا أن أرض الله واسِعةٌ، ورِزقَ الله في المشي

(١) [القصص: ٢٧].
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب / المزارعة، باب/ فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ج/ ٣، ص/ ١٠٣، ح رقم (٢٣٢٠).
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج/ ٦، ص/ ٤٥٦.

في مناكبها والضربِ في أرجائها، فرزقُ الله غيرُ محدودٍ بمكانٍ، ولا محصورٍ بجهة قال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾(١).

فمن سعَى وانتشرَ في الأرض، وضربَ في أرجائها مُبتغيًا فضلَ الله ورزقه؛ فإنه أهلٌ لنوالِهِ، ومن قعدَ وتكاسَلَ وتمنَّى الأماني؛ كان جديرًا بأن يُحرَم.

وبالتأمل في السنة النبوية المطهرة نجد أنّ الإسلام شجع الشباب على العمل، والسعي؛ لطلب الرزق، بغض النظر عن طبيعة العمل، ما دام مشروعاً، واعتبر ذلك من العبادات التي يُثابون عليها؛ لأنّه يعود بالنفع عليهم وعلى من يعولون، فقد عمل رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- في رعي الأغنام والتجارة، وكان- عليه الصّلاة والسّلام – يقول: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»**(٢).

وقوله: **فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ** " أيْ يَمْنَعَ عَنْ إرَاقَةِ مَاءِ وَجْهِهِ بِالسُّؤَالِ " خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ " (٣).

قال ابن حجر: "وَفِيهِ الْحَضُّ عَلَى التَّعَفُّفِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَالتَّنَزُّهِ عَنْهَا وَلَوِ امْتَهَنَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَارْتَكَبَ الْمَشَقَّة فِي ذَلِكَ وَلَوْلاَ قُبْحُ الْمَسْأَلَةِ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ لَمْ يُفَضِّلْ ذَلِكَ عَلَيْهَا وَذَلِكَ لِمَا يَدْخُلُ عَلَى السَّائِلِ مَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ وَمِنْ

(١) [النساء: ١٠٠].
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب/ الزكاة، باب / الاستعفاف عن المسألة ج/٢، ص/١٢٣، ح رقم (١٤٧١).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لــ أبو الحسن الهروي القاري، ج/ ٤، ص/ ١٣٠٩.

دُلِّ الرَّدِّ إِذَا لَمْ يُعْطَ وَلِمَا يَدْخُلُ على المسؤول مِنَ الضِّيقِ فِي مَالِهِ إِنْ أَعْطَى كُلَّ سَائِلٍ"(١).

فكلُّ كسبٍ حلالٍ هو عملٌ شريفٌ عظيمٌ مأجورٌ صاحِبُه، فهذه هي مهنةُ الاحتِطابِ؛ فهل نرى أحدًا يزدَريها بعد هذا التوجيهِ النبويِّ الكريمِ؟.

ومن الأحاديث التي أشارت إلى أهميّة العمل في علاج وحلّ مشكلة الفقر: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: **«مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»**(٢).

وَفِيهِ: أَنَّ التَّحَرُّفَ فِي الْمَعِيشَةِ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا إِذَا لَمْ تَنْهَ عَنْهُ الشَّرِيعَةُ نَقِيصَةٌ **وَفِيهِ** أَنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ أَحْوَالُهُمْ فِي تَوَاضُعِهِمْ غَيْرُ أَحْوَالِ الْمُلُوكِ وَالْجَبَّارِينَ وَكَذَلِكَ أَحْوَالُ الصَّالِحِينَ.. "(٣).

فهذا الحديث يُشير إلى أنّ الأنبياء قد عملوا وسعوا في تحصيل الرزق مع أنّ الله تكفّل بتأمين أرزاقهم. وهذا الحديثُ هو أبلغُ ما جَاء في هذا الباب في وصف مُشكلة الفقر وإيجاد الحلول لها؛ حيث إنّ الإسلام لم يرضَ للفقراء الركون إلى ما يأتيهم من الناس كصَدقات أو هبات، بل جَعل أفضل ما يأكله المُسلم ممّا يَجنيه من عمله بيده.

كما حرّم الإسلام التسوّل، واعتبره عاراً على المسلم، فحذرت السنة النبوية من سؤال الناس المال والإلحاح في ذلك، فيُبعث صاحبه يوم القيامة وليس في وجهه قطعة لحم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لا بن حجر ج/ ٣، ص/ ٣٣٦.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب/ الإجارة، باب / رعي الغنم على قراريط، ج/٣، ص/ ٨٨، ح رقم (٢٢٦٢).
(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للقرطبي، ج/ ٢٤، ص/ ٣٤٤.

عَلَيْهِ وَسَلَّم -: **«مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»** (١).

فوَصف مَن يَسأل الناس ويَطلب منهم المال والقوت بأنه يأتي يوم القيامة وقد تساقَطَ لحم وجهه من كثرة استعطافِ الناس وسؤالهم.

فدل الحديث على تحريم السؤال على الغني تكثراً؛ لأن هذا الوعيد لا يترتب إلاّ على معصية، وقد توعد الله المُتسول تكثراً بسلخ وجهه يوم القيامة، كما أراق ماء وجهه في الدنيا، والجزاء من جنس العمل؛ لأن السؤال مذلة، والله لا يرضى للمسلم أن يعرّض نفسه لهذه المهانة إلاّ لضرورة(٢).

من خلال ما سبق: **يتبين أنه** من وسائل الاسلام في حل مشكلة للفقر؛ حثّ الإنسان على العمل والكسب؛ فحل مُشكلة الفقر يبدأ من الفرد نفسه، فالفرد بذاته يجب عليه السعي في كسبِ قوته، والاستعفاف عَمّا في أيدي الناس، وليس لأيّ أحدٍ أنْ يحتجّ بعدم القيام بأيّ عملٍ بأنّ الله- تعالى- كتب عليه الفقر، أو عدم العمل، ويجب أيضاً على المُسلم أن يتواضع، ولا يتكبّر على أيّ نوعٍ من أنواع العمل؛ فالعمل والسعي المشروع شرفٌ؛ فالنبي- صلّى الله عليه وسلّم- كان يُرغّب الصحابة بالمهن ويحثّهم عليها، كما أنه- صلّى الله عليه وسلّم- مارس رعاية الغنم قبل البعثة، ثمّ عمل بالتجارة، وكذلك جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، فالعمل عبادةٌ يتقرّب بها العبد إلى الله تعالى. فعليه بالسعي والاجتهاد، وطرح العجز والكسل وراء ظهره.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب/ الزكاة، باب / من سأل الناس تكثراً، ج/٢، ص/ ١٢٣، ح رقم (١٤٧٤).

(٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لعبد القادر الأرناؤوط، ج/ ٣، ص/ ٤٩.

المبحث الثاني:

حث المُجتمع على حل مُشكلة الفقر والتَّصَدِّي لها، وأثر ذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي.

- **المطلب الأول**: الحث على الزّكاة، وأثرها في تحقيق التكافل الاجتماعي، وفي حفظ أمن المجتمع.
- **المطلب الثاني**: الحث على الصدقة، وأثرها في سعة الرزق وفي علاج الفقر من المجتمع.
- **المطلب الثالث**: "الحث على الإنفاق في سبيل الله، وأثره في تهذيب غريزة حُب التملك وفي الترهيب من البُخل بحق الفقير والمسكين".

المبحث الثاني: حث المُجتمع على حل مشكلة الفقر والتَّصَدِّي لها، وأثر ذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي.

لما كان الفقر ظاهرة مُجتمعية ومُشكلةٌ لا يخلو منها مُجتمع، ولا تنفَكُّ منها دولةٌ، مهما بلغَ تقدُّمُها وثراؤها، ظاهرة وجودها في أمةٍ أو دولةٍ ليس مثلَبَةً ولا عيبًا، ولكن نِسيانُ ذلك وإهمالُه، أو عدمُ النظر في أسبابه، والسعي في علاجه، هو المَعيبُ وفيه المسؤولية؛؛ لذا عمل الإسلام على إيجاد حلول؛ لعلاجها من الجذور حتى يتم القضاء على هذه الظاهرة في المجتمع.

المطلب الأول: الحث على الزّكاة، وأثرها في تحقيق التكافل الاجتماعي، وفي حفظ أمن المجتمع.

إنْ سعى الإنسان في طلب الرزق ولَم يَستطع بلوغ الكفاية له ولأسرته، أو لَم يجد عملاً يُغنيه عن الناس؛ لضعفه أو عجزه أو مرضه؛ **فهُنا يأتي دور المُجتمع**؛ فيتدرج التَّصَدِّي للفقر؛ حتى يَعمَّ المُجتمع؛ حيث أوجب الإسلام على المُسلمين عباداتٍ ماليّة لمن كان هذا حالهم؛ فالغنيّ مُطالبٌ بإخراج جزءٍ من ماله لفُقراء المسلمين ضمن شروطٍ مُعيّنة؛ حتى يَصل الفُقراء إلى حَدِّ الاكتِفاء. **والزكاة هي أحد أركان** الإسلام ومبانيه العظام؛ ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ": قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كِتَابُ / الْإِيمَانَ، بَابُ / قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بُني الإسلام على خمس»، ج/ ١، ص/ ١١، ح رقم (٨).

وقد قُرنت الزكاة بالصلاة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾(٢). وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾﴾(٣).

فالصلاة بها تُصلح العلاقة والحقوق بين الإنسان وبين الله؛ والزكاة بها تُصلح العلاقة والحقوق بين الإنسان وبين الناس.

جاءت الزكاة سَبيلاً ثانياً في حلّ مشكلة الفقر بعد العمل؛ حيث ألزَم القرآن الكريم المُسلمين بإخراج زكاة أموالهم للفقراء والمُحتاجين؛ حتى يُطهّر قلوبهم ويُذهب عنهم السيّئات، ويغفر لهم الزلات،، والزكاة الشرعية قد تسمى في لغة القرآن والسُّنة صدقة؛ لأنها دليل على صدق المُزكي وإيمانه بربه قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾(٤).

قال الإمام ابن كثير في تفسيرها: " أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَنْ يأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صدقَة يُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ بِهَا، وَهَذَا عَامٌّ وَإِنْ أَعَادَ بَعْضُهُمُ الضَّمِيرَ فِي "أَمْوَالِهِمْ" إِلَى الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ وَخَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا؛ وَلِهَذَا اعْتَقَدَ بَعْضُ مَانِعِي الزَّكَاةِ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَنَّ دَفْعَ الزَّكَاةِ إِلَى الإِمَامِ لاَ يَكُونُ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا خَاصًّا بِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ وَلِهَذَا

(١) [البقرة: ٤٣].
(٢) [البيّنة: ٥].
(٣) [التوبة: ١١].
(٤) [التوبة: ١٠٣].

احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ هَذَا التَّأْوِيلَ وَالْفَهْمَ الْفَاسِدَ الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ، وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى أَدَّوُا الزَّكَاةَ إِلَى الْخَلِيفَةِ، كَمَا كَانُوا يُؤدونها إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم(١).

فقد جاء في صحيح البخاري" أن أبا هريرة - رضي الله - قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: **«وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا»**(٢).

والمعنى: خذ أيها النبي ومن بعدك من الحكام من أموال هؤلاء التائبين وغيرهم صدقة مُقدرة بمقدارٍ معين، تطهرهم من داء البخل والطمع والذنوب، وتزكي أنفسهم وتطهرها بها، وتنمي بها حسناتهم، وترفعهم إلى منازل المخلصين. والتزكية: مبالغة في تطهير المال وزيادة فيه، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال، أي إن الله تعالى يجعل النقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزكاة سببا للإنماء(٣).

فإخراج الزكاة فيه طهارة وتزكية للنفس والمال معاً؛ فهي بمثابة طهارة وجلاء وغسل للأدران والأوساخ من الذنوب والمعاصي والشح والبخل ومنكرات الصفات القبيحة.

والزّكاة هي حصّة مُقدّرة من المال أوجبها الله- سبحانه وتعالى- لمُستحقّيها الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، **والمقصد الأصلي من شرعيتها**، هو مَا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ٤، ص/ ٢٠٧.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب /الزكاة باب / أخذ العناق في الصدقة، ج/ ٢، ص/ ١١٨، ح رقم (١٤٥٦).
(٣) التفسير الوسيط لـ د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج/ ١، ص/ ٩١٣.

يترتَّب على إعطائها لأهْلها من المصالح العظيمة، والعواقب الحميدة، والآثار المُبارَكة في الدنيا والآخرة؛ فإن الله- تعالى- إنما شرع الزكاة مُواساة للفقراء والمحتاجين، وقياماً بمصالح المسلمين، ومصارف الزكاة محصورة في ثمانية أصناف نص عليهم القرآن الكريم في قوله: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾(١).

والمراد بالصدقات في الآية: الزكاة المفروضة، وهؤلاء المذكورون في هذه الآية الكريمة هم أهل الزكاة الذين جعلهم الله محلاً لدفعها إليهم، لا يجوز صرف شيء منها إلى غيرهم إجماعاً.

قال الرازي في تفسيرها: " أَعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَخْبَرَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَلْمِزُونَ الرَّسُولَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فِي أَخْذِ الصَّدَقَاتِ، بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَأْخُذُهَا لِهَؤُلاَءِ الأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ، وَلاَ يَأْخُذُهَا لِنَفْسِهِ وَلاَ لأَقَارِبِهِ وَمُتَّصِلِيهِ، وأَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ مِنْ مَالِ الْغَنِيِّ؛ لِيُصْرَفَ إِلَى الْفَقِيرِ فِي دَفْعِ حَاجَتِهِ هُوَ الْحِكْمَةُ الْمُعَيَّنَةُ، وَالْمَصْلَحَةُ اللاَّزِمَةُ، وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ هَمْزُ الْمُنَافِقِينَ وَلَمْزُهُمْ عَيْنَ السَّفَهِ وَالْجَهَالَةِ"(٢).

فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى مَصَارِفَهَا بِنَصٍّ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ**﴾ فكانت هَذِهِ الآيَةُ نَاطِقَةٌ بِوُجُوبِ قَصْرِ الصَّدَقَاتِ الْوَاجِبَةِ، وَهِيَ زَكَاةُ النُّقُودِ عَيْنًا أَوْ تِجَارَةً وَالأَنْعَامِ وَالزَّرْعِ وَالرِّكَازِ وَالْمَعْدِنِ عَلَى الأَصْنَافِ السَّبْعَةِ أَوِ الثَّمَانِيَةِ الْمَنْصُوصَةِ فِيهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، وَهِيَ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ لَمَزَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ إِعْطَائِهِمْ مِنْهَا- وَهُمْ لَيْسُوا مِنْهُمْ- وَقَاطِعَةٌ لأَطْمَاعِ

(١) [التوبة: ٦٠].
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ١٦، ص/ ٨١.

أَمْثَالِهِمْ. و" اللاَّمُ " فِي قَوْلِهِ: (لِلْفُقَرَاءِ) لِلْمِلْكِ وَلِلاِسْتِحْقَاق، أَوْ بِتَقْدِيرِ مَفْرُوضَةٌ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي آخِرِ الآيَةِ: فَرِيضَةً مِنَ اللهِ(١).

أي هي مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم. والآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لاَ حَقَّ فِي الصَّدَقَاتِ لأَحَدٍ إلاَّ لِهَذِهِ الأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ، وَذَلِكَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَأَيْضًا فَلَفْظَةٌ (إِنَّمَا) تُفِيدُ الْحَصْرَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ كلمة (إِنَّمَا) مُرَكَّبَةٌ مِنْ «إِنَّ» و«مَا» وَكَلِمَةُ إِنَّ لِلإِثْبَاتِ وَكَلِمَةُ مَا لِلنَّفْيِ، فَعِنْدَ اجْتِمَاعِهِمَا وَجَبَ بَقَاؤُهُمَا عَلَى هَذَا الْمَفْهُومِ، فَوَجَبَ أَنْ يفيدا ثبوت الْمَذْكُورَ، وَعَدَمَ مَا يُغَايِرُهُ(٢).

فجعل الله لهؤلاء الأصناف جُزْءًا من أموال الزكاة، والأولى بالزكاة من هؤلاء الأصناف ما كانت الحاجة إليه أشد؛ لأن كل هؤلاء استحقوا الوصف. " فمن كان أشد إلحاحاً وحاجة فهو أولى، والغالب أن الأشد هم الفقراء والمساكين، ولهذا بدأ الله تعالى بهم. وإنما سمى الله الأصناف الثمانية، إعلاماً منه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف إلى غيرها.

وعلى هذا فمصارف الزكاة أخص من مصارف الصدقة؛ فمصارف الزكاة خاصة بالأصناف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة، وبالمسلمين فقط دون غيرهم.

ولو قام المجتمع بتطبيق منهج الله تعالى من خلال هذه الآية الكريمة؛ فإن ذلك سيكون له أثراً كبيراً في علاج مُشكلة الفقر؛ فزكاة المال تعمل على القضاء على مُشكلة تكدس الثروات في يد فئةٍ قليلةٍ، واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء؛ فهي تُنمى موارد الفقير والمسكين والمُثقل بالديون من ناحية وتُحفز الغنى؛

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ج/ ١٠، ص/ ٤٢٣.
(٢) تفسير النسفي المسمى " معالم التنزيل"، ج/ ١، ص/ ٦٨٨، ومفاتيح الغيب للرازي ج/ ١٦، ص/ ٨١.

ليساعدهم بكل الوسائل المُمكنة؛ فهذا المنهج سيقود في الأمد القريب إلى تقريب الفوارق بين الطبقات، ورفع مستوى الفقراء والمساكين في المجتمع.

وعلى هذا فتقديم الزكاة لمستحقيها تُظهر التكافل الاجتماعي، والتضامن الأخوي بين المسلمين؛ حيث إنه يجب أداء الزكاة على كل مُسلم توفرت في أمواله شروط الزكاة؛ وهي أموال تُؤخذ من الأغنياء وتصبح حقاً للفقراء؛ فالزكاة حقٌ لمن جعلها الله لهم في مال الأغنياء؛ حتى لا يبقي في المُسلمين فقير، وإن وجد فقير فبسبب منع غني كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾(١).

ففرض الإسلام تعاوناً اجتماعياً بأمره الأغنياء أن يُؤتوا المال للمحتاجين بشكل حق يُؤدىَ عند حلوله. فالفقير له حصةٌ من أموال الزكاة، وذلك من الحقوق التي أوجبها الله تعالى للفقراء. فإنَّ من حق هؤلاء العجزة أن يحصلوا على جزء مما أنتجه القادرون؛ لأنهم يشتركون معهم فيما يعملون فيه، فللسائلينَ والمحرومين حقًا في أموال القادرين، وليس تفضلاً أو مِنَّة منهم عليهم.

قال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره" المنار": " وَلَوْ أَقَامَ الْمُسْلِمُونَ هَذَا الرُّكْنَ مِنْ دِينِهِمْ لَمَا وُجِدَ فِيهِمْ- بَعْدَ أَنْ كَثَّرَهُمُ اللهُ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ- فَقِيرٌ مُدْقِعٌ، وَلاَ ذُو غُرْمٍ مُفْجِعٌ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ تَرَكُوا هَذِهِ الْفَرِيضَةَ فَجَنَوْا عَلَى دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ فَصَارُوا أَسْوَأَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ حَالاً فِي مَصَالِحِهِمُ الْمِالِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ؛ حَتَّى فَقَدُوا مُلْكَهُمْ وَعِزَّهُمْ... " (٢).

وبالنظر في السُّنة النبوية نجد أن الإسلام رسم طريق الحياة القويمة للمجتمع المثالي الفاضل؛ إذ أقامه على مبدأ الضمان الاجتماعي الذي به تحيا الأمة ويَقوى المجتمع؛ ففي الحديث الصحيح كما روى عبد الله بن عبّاس-رضي

(١) [المعارج: ٢٤، ٢٥].
(٢) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج/ ١٠، ص/ ٤٤٣.

الله عنهما- أنّ النبيّ-عليه الصّلاة والسّلام- قال لمُعاذٍ حين أرسله إلى اليمن: قَالَ: **«إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»**(١).

وفي قوله: **" تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم"** دليلٌ على أن لولي الأمر أن يأخذ الزكاة من أهلها ويصرفها في مصارفها... (٢).

ودليل أيضاً على أن الزكاة حقٌ محددٌ وثابت مفروض في أموال أغنياء المجتمع؛ ليرد على فقرائهم، وأن الأصل في الزكاة كفاية الفقراء والمحتاجين وإقامة حياتهم ومعاشهم؛ ولذلك خصهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بالذكر في الحديث.

وقد دل الحديث على: وجوب الزكاة، وكونها ركناً من أركان الإسلام، لقوله- صلى الله عليه وسلم-: **" فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة "**، وهذه الصدقة هي الزكاة، فمن جحدها قتل كافراً، إلاّ أن يكون حديث عهد بالإسلام، ومن امتنع عن دفعها ولم يجحدها فهو فاسق، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهراً مع تعزيره، وليس له أن يأخذ من ماله زيادة عليها، كما دل الحديث على أن الزكاة تجب على كل مسلم غني، وهو من يملك النصاب الشرعي (٣)..

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كِتَابُ / الْإِيمَانَ بَابُ / الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، ج/ ١، ص/ ٥٠، ح رقم (١٩).

(٢) شرح رياض الصالحين لـ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ج/ ٢، ص/ ٥٠٦.

(٣) شرح رياض الصالحين لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ج/ ٢، ص/ ٥٠٦، ومنار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لعبد القادر الأرناؤوط، ج/ ٣، ص/ ٥.

أثر الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي، وفي حفظ أمن المجتمع.

لقد شُرعت الزكاة لحكمٍ عظيمة، وأسرارٍ كثيرة، ومصالح جمة، تعود على الأفراد والمُجتمعات بالخير العظيم منها:

١- أن الزكاة قُربة لله وطاعة له وخُضوعاً لأمره جل وعلا فهي عبادة من العبادات، في هذه العبادة؛ تعويداً للنفس على العطاء والبذل، والسخاء والإنفاق في وجوه الخير وفيها أيضاً إبعاداً للنفس عن البخل والشح الَّذِي نهى الله عنه.

٢- أن الزكاة قد تكون سبباً مانعاً ورادعاً وزاجراً من ارتكاب الجريمة كالسرقات وقطع الطريق والغش في المعاملات والرشوة والنهب والاغتصاب والخداع وغيرها فهذه الجرائم وما شابهها قد يكون سببها الفقر والحاجة فإذا أعطى الأغنياء جزءاً من أموالهم إلى الفقراء؛ فإنه يقلل من وقوع مثل هذه الجرائم في المُجتمع.

٣- أن الزكاة تُخفف من الطبقية في المجتمع فالمجتمعات تتكون في الغالب من الأغنياء والفقراء ومستوري الحال ففيها يظهر التكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى فإذا أعطى الأغنياء الفقراء من أموالهم قد يكون هذا تقليلاً من هذه الفروق الموجودة في المجتمعات فالله - عز وجل - لا ينظر إلى الأموال وإلى الأجسام وإنما ينظر إلى الأعمال والميزان عنده جل وعلا هو التقوى قَال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (١) ..

ولما كانت الزكاة أول تشريع مُنظم؛ لتحقيق التكافل المادي، وسبباً؛ لتنمية الروح الاجتماعية بين أفراد المجتمع؛ لذلك كله جاء التحذير من التهاون في إخراج الزكاة؛ حيث جاء الوعيد الشديد، والترهيب المُرعب في حق تارك الزكاة، وفي حق من قصر فيها، وتساهل في أدائها؛ تحذيراً وإنذاراً، وإبداءً وإعذاراً، بأسلوبٍ ترتعد منه الفرائص، وتهتز له القلوب، وتذوب من هوله الأفئدة، بأسلوبٍ لو خُوطبت به الجبال الصم؛ لخشعت وتصدعت.، يقول عز وجل فيه: ﴿وَوَيْلٌ

(١) [الحُجُرات: ١٣]

﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾(١). ولما كان ترك الزكاة سبباً للويل، كان في المُقابل إخراج الزكاة سبباً لفلاح العبد في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ (٢) . ومن أعظم أسباب رحمة الله للعبد في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦﴾(٣).

وهدد - سبحانه وتعالى - من يمتنعون من صرف المال في مصارفه حيث قال جل من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ **فكنز الأموال** مُحرَّم بنصّ القرآن الكريم، فكل مال وجبت فيه الزكاة فلم تُؤَد زكاته فهو كنز ينطبق على صاحبه وعيد شديد؛ فحين بيَّن الله تعالى أن جنس الإنسان مُحبٌّ للمال وغالباً ما يكون حريصاً على اكتسابه، وحين أوجب الله - تعالى - على المؤمنين مقداراً مُحدداً من المال هو حقٌّ للفقير والمسكين وابن السبيل وغيرهم، فإن الله - تعالى - قد حذر المؤمنين أشد التحذير من تضييع هذه الفريضة بُخلاً بالمال واكتنازاً له.

قال العلامة ابن كثير- رحمه الله تعالى- في تفسيرها: " أيْ: يُقَالُ لَهُمْ هَذَا الكَلَامُ تَبْكِيتًا وَتَقْرِيعًا وَتَهَكُّمًا، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ

(١) [فُصِّلَت: ٦ / ٧].
(٢) [الأعلى: ١٤].
(٣) [الأعراف: ١٥٦].

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ (١) أيْ: هَـذَا بِـذَاكَ، وَهُـوَ الَّـذِي كُنْـتُمْ تَكْنِزُونَ لأَنْفُسِكُمْ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا وَقَدَّمَهُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، عُذِّبَ بِهِ. وَهَؤُلاَءِ لَمَّا كَانَ جَمْعُ هَذِهِ الأَمْوَالِ آثَرَ عِنْدَهُمْ مِنْ رِضَا اللهِ عَنْهُمْ، عُذِّبُوا بِهَا، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الأَمْوَالَ لَمَّا كَانَتْ أَعَزَّ الأَشْيَاءِ عَلَى أَرْبَابِهَا، كَانَتْ أَضَرَّ الأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ؛ فَيُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَنَاهِيكَ بِحَرِّهَا، فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ". (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾(٣).

فالآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى الجود والسخاء من أجل إعلاء كلمة الله، وتتوعد البخلاء بأقسى ألوان الوعيد وأفظعها. وتبين أن كل ما في هذا الكون إنما هو ملك لله- تعالى- وحده، فهو المعطى وهو المانع، ولذا قال- تعالى: وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٤).

وبالنظر في السُّنة النبوية نجد أنه جاء فيها التهديد لمن يمتنعون من صرف المال في مصارفه الشرعية، ولكل صاحب كنز لم يُخرج زكاته بالعقاب الشديد؛ **حيث جاء في الصحيح** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلاَّ أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ**

(١) [الدخان: ٤٨، ٤٩].
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ٤، ص/ ١٤١.
(٣) [آل عمران: ١٨٠].
(٤) التفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر د سيد طنطاوي ـ رحمه الله ـ ج/ ٢، ص/ ٣٥٣.

مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.....»(١).

قال النووي: "الْكَنْزُ كُلُّ شَيْءٍ مَجْمُوعٍ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ سَوَاءٌ كَانَ فِي بَطْنِ الأَرْضِ أَمْ عَلَى ظَهْرِهَا"(٢). وقذ دل الحديث على أن كنز المال، وعدم إخراج زكاته من الأفعال المُحرمة التي هدد الله على فعلها بالعقاب الشديد.

من خلال ما سبق يتبين أنَّه: عالج الاسلام الفقر وتصدي له عن طريق الزكاة بين الترغيب في أدائها والترهيب من منعها؛ فالزكاة تأتي كأحد أهم الوسائل الفعالة التي واجه بها الإسلامُ الفقرَ وما يترتب عليه من نشرٍ للفساد؛ فتشريعُ الزكاةِ في المُجتمع يحميه من الفساد؛ حيث إنها تعمل على تطييب نَفْسِ الفقيرِ تجاه الغني وتجاه المجتمع ككلٍّ؛ مما يُولد لديه شعورًا إيجابيًّا بالانتماء؛ فلا يسعى للسرقة أو الاختلاس، ويعمل على حماية المال العام؛ فتهدأ ضلوع الحاقد،، ويسكن جوف الفقير، ويذهب خوف الغني، ويتذوق الناس في ظلال الرخاء، سعادة الأرض ونعيم السماء.

(١) أخرجه مُسلم في ٠صحيحه، كِتَابُ / الْكُسُوفِ، بَابُ / إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ ج/ ٣، ص/ ٦٨٢، ح رقم (٩٨٧)

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج "ج/ ٧، ص/ ٦٧.

المطلب الثاني: الحث على الصدقة وأثرها في سعة الرزق، وفي علاج الفقر من المُجتمع.

الصدقة تعود بفوائد عظيمة على المُتصدق وعلى الأفراد والمُجتمع؛ حيث إن الفقر والحرمان والطمع والجشع هم أساس المشاكل التي تحدث في هذا العالم، وتُسببُ الكثير من الحروب والموت؛ لذا حارب القرآن الكريم الفقر، وحث المُجتمع على حل هذه المُشكلة التي تُهدد أمن المجتمع واستقراره عن طريق الترغيب في الصدقة. فجاءت الكثير من الآيات تحُثُ على الصدقة، وتذكر ثمرتها وجزاء الله للمُتصدقين.

١- الصدقة يُبارك الله لصاحبها في الدنيا، ويُضاعف له الأجر والثواب في العُقبى. قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾(١).

مناسبة الآية لما قبلها

يقول الإمام الرازي في مناسبة الآية لما قبلها: "اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَالَغَ فِي الزَّجْرِ عَنِ الرِّبَا، وَكَانَ قَدْ بَالَغَ فِي الآيَاتِ المُتقدمة في الأمر بالصدقات، ذكر هاهنا مَا يَجْرِي مَجْرَى الدُّعَاءِ إِلَى تَرْكِ الصَّدَقَاتِ وَفِعْلِ الرِّبَا، وَكَشَفَ عَنْ فَسَادِهِ، وَذَلِكَ لأَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى فِعْلِ الرِّبَا تَحْصِيلُ المَزِيدِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَالصَّارِفَ عَنِ الصَّدَقَاتِ الاحْتِرَازُ عَنْ نُقْصَانِ الْخَيْرِ؛ فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَانَ زِيَادَةً فِي الحَال، إِلاَّ أَنَّهُ نُقْصَانٌ فِي الحَقِيقَةِ، وَأَنَّ الصَّدَقَةَ وَإِنْ كَانَتْ نُقْصَانًا فِي الصُّورَةِ، إِلاَّ أَنَّهَا زِيَادَةٌ فِي المَعْنَى، وَلَمَّا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ اللاَّئِقُ بِالعَاقِلِ أَنْ لاَ يَلْتَفِتَ إِلَى مَا يَقْضِي بِهِ الطَّبْعُ وَالحِسُّ مِنَ الدَّوَاعِي وَالصَّوَارِفِ، بَلْ يُعَوِّلُ عَلَى مَا نَدَبَهُ الشَّرْعُ إِلَيْهِ مِنَ الدَّوَاعِي وَالصَّوَارِفِ فَهَذَا وَجْهُ النَّظْمِ.... " (٢).

---

(١) [البقرة: ٢٧٦]

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٧، ص/ ٨٠.

ويقول البقاعي: " ويجوز كونه استئنافاً وذلك أنه لما تقرر أن فاعليه من أصحاب النار ساقه مساق الجواب لمن كأنه قال: وإن تصدقوا من أموال الربا وأنفقوا في سبيل الخير! إعلاماً بأن الربا مناف للخير فهو مما يكون هباء منثوراً. ولما آذن جعلهم من أصحاب النار أن من لم ينته عن الربا أصلاً أو انتهى وعاد إلى فعله مرتبك في شرك الشرك قاطع نحوه عقبات: ثنتان منها في انتهاك حرمة الله: ستر آياته في عدم الانتهاء، والاستهانة بها في العود إليه، الثالثة انتهاك حرمة عباد الله فكان إثمه متكرراً مُبالغاً فيه لا يقع إلا كذلك" (١).

معاني المفردات.

١- ﴿يَمْحَقُ﴾ المَحْقُ: النُّقصانُ وذَهابُ البركَة. قال ابن منظور: وَشَيْءٌ ماحِقٌ: ذَاهِبٌ، وقَدْ مَحَق وامَّحَق وامْتَحَقَ ومَحَقَهُ وأَمْحقه أي: ذَهَبَ خَيْرُهُ وبَرَكَتُهُ(٢).

والفرق بين المحق والاذهاب: أن المحق يكون للأشياء ولا يكون في الشى الواحد يقال محق الدنانير ولا يقال محق الدينار إذا أذهبه بعينه ولكن تقول محق الدينار إذا أردت قيمته من الورق فأما قوله تعالى " يمحق الله الربا " فإنه أراد أن ثواب عامله يمحق والثواب أشياء كثيرة والشاهد قوله تعالى " ويربي الصدقات " ليس أنه يربي نفسها وإنما يربي ثوابها فلذلك يمحق ثواب فاعل الربا ونحن نعلم أن المال يزيد بالربا في العاجل(٣)..

(١) نظم الدُرر في تناسُب الآيات والسور ج/ ٤، ص/ ١٣٤.
(٢) تهذيب اللغة للأزهري ج/ ٤، ص/ ٥٢، ولسان العرب لابن منظور ج/ ١٠، ص/ ٣٣٨، مادة (محق).
(٣) مُعجم الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال العسكري (ج/١، ص/ ٤٨٧.

٢- ﴿**الرِّبَا**﴾ الْفضل وَالزِّيَادَة و(فِي الشَّرْع) فضل خَال عَن عوض شَرط لأحد الْمُتَعَاقدين و(فِي علم الاقتصاد) الْمبلغ يُؤَدِّيه الْمُقْتَرض زِيَادَة على مَا اقْترض تبعا لشروط خَاصَّة (١).

٣ - ﴿**وَيُرْبِي**﴾ الربو: الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْعُلُوُّ. تَقُولُ مِنْ ذَلِكَ: رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو، إِذَا زَادَ. وَيُقَال رَبَّا الْمَال زَاد وَعلا وارتفع وَالْفرس انتفخ من عَدو أو فزع وَالْجرْح ورم والسويق وَنَحْوه صب عَلَيْهِ المَاء فانتفخ، وَرَبَا: أَصَابَهُ الرَّبْوُ; وَالرَّبْوُ: عُلُوُّ النَّفَس(٢).

٤ - ﴿**الصَّدَقَاتِ يَقُومُ**﴾ **الصدقة في اللغة**: مَا يُعْطى على وَجه الْقُرْبَى لله، أو هي العطية تُبتَغي بها المثوبة من الله تعالى(٣).

فعلى هذا: **الصدقة**: هي ما يُعطى للفَقير والمُحتاج من المتصدِّق ابتغاء مرضاة الله، والوصول إلى الأجر والثواب في الآخرة، دون انتظار مكرمةٍ في الدنيا، أو هي: ما يُخرجه المرء من خالص ما يملك قربةً لله- سبحانه وتعالى- وحده.

والصدقة أعم من الزكاة؛ فيمكن أن تكون للأصناف الثمانية الذين ورد ذكرهم في سورة التوبة، ولغيرهم، ويُمكن أن تكون للمُسلمين ولغيرهم؛ فهي لهذا المعنى أعمُّ من الزكاة.

---

(١) المُعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ج/١، ص/ ٣٢٦. مادة (رَبًّا).
(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ج/ ٢، ص/ ٤٨٣، مادة (ربى). والمُعجم الوسيط ج/ ١، ص/ ٣٢٦. مادة (رَبًّا).
(٣) المُعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ج/١، ص/ ٥١١، والتعريفات للجُرجاني ج/١، ص/ ١٣٢.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (كفّار) مُبالغة اسم الفاعل من فعل كفر يكفر باب نصر وزنه فعّال. و(أثيم)، صفة مشبّهة زنة فعيل من فعل أثم يأثم (١).

المعنى العام للآية:

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾(٢).

بَيَّنَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - في الآية الكريمة مَحْقَ الرِّبَا وَمُضَاعَفَةَ الصَّدَقَةِ فقال سبحانه: يمحق الله الربا أي: يقضي عليه بالإتلاف، أو بنزع البركة، أو بصرفه فيما يضرّه في الحرام. ويُربي الصدقات أي: يزيدها الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. والله لا يحب كل كفار أثيم إذا نفى الله تعالى المحبة فالمراد إثبات ضدها، وهي الكراهة، و«الكَفّار» كثير الكفر، أو عظيم الكفر؛ و«الأثيم» بمعنى الآثم، كالسميع بمعنى السامع.

ولذلك يقول فضيلة الامام الاكبر عند تفسير الآية الكريمة: " بين- سبحانه- سوء عاقبة المُرابين، وحُسن عاقبة المُتصدقين فقال: يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ والمحق: النقصان والإزالة للشيء حالا بعد حال، ومنه محاق القمر، أي انتقاصه في الرؤية شيئا فشيئا حتى لا يرى، فكأنه زال وذهب ولم يبق منه شيء.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي ج/٢، ص/ ٧٥.

(٢) [البقرة: ٢٧٦] و«يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا» فعل مضارع ولفظ الجلالة فاعل والربا مفعول به والجملة استئنافية «وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ» فعل مضارع والفاعل هو يعود إلى الله والصدقات مفعول به منصوب بالكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. والجملة معطوفة على ما قبلها «وَاللَّهُ» الواو استئنافية الله لفظ الجلالة مبتدأ «لا يُحِبُّ» لا نافية يحب فعل مضارع والفاعل هو «كُلَّ» مفعول به «كَفَّارٍ» مضاف إليه «أَثِيمٍ» صفة. إعراب القرآن الكريم المؤلف: أحمد عبيد الدعاس- ج/ ١، ص/ ١١٧.

أي: أن المال الذي يدخله الربا يمحقه الله، ويذهب بركته، أما المال الذي يبذل منه صاحبه في سبيل الله فإنه- سبحانه- يباركه وينميه ويزيده لصاحبه"(١).

فإرباء الصَّدَقَاتِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فِي الآخِرَةِ. أَمَّا فِي الدُّنْيَا **فَمِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا**: أَنَّ مَنْ كَانَ اللهُ لَهُ، فَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ مَعَ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ يُحْسِنُ إِلَى عَبِيدِ اللهِ، فَاللهُ تَعَالَى لاَ يَتْرُكُهُ ضَائِعًا فِي الدُّنْيَا، **وَثَانِيهَا**: أَنَّهُ يَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ فِي جَاهِهِ وَذِكْرِهِ الْجَمِيلِ، وَمَيْلِ الْقُلُوبِ إِلَيْهِ وَسُكُونِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَالِ مَعَ أَضْدَادِ هَذِهِ الأَحْوَالِ **وَثَالِثُهَا**: أَنَّ الْفُقَرَاءَ يُعِينُونَهُ بِالدَّعَوَاتِ الصَّالِحَةِ **وَرَابِعُهَا**: الأَطْمَاعُ تَنْقَطِعُ عَنْهُ فَإِنَّهُ مَتَى اشْتُهِرَ أَنَّهُ مُتَشَمِّرٌ لِإِصْلاَحِ مُهِمَّاتِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ، فَكُلُّ أَحَدٍ يَحْتَرِزُ عَنْ مُنَازَعَتِهِ، وَكُلُّ ظَالِمٍ، وَكُلُّ طَمَّاعٍ لاَ يَجُوزُ أَخْذُ شَيْءٍ مِنْ مَالِهِ، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِإِرْبَاءِ الصَّدَقَاتِ فِي الدُّنْيَا. وَأَمَّا إِرْبَاؤُهَا فِي الآخِرَةِ فَيُضَاعِفُ بِهَا الأَجْرَ وَالثَّوَابَ فِي الْعُقْبَى(٢).

والنكتة في الآية أن المُرابي إنما يطلب في الربا زيادة في المال ومانع الصدقة إنما يمنعها لطلب زيادة المال، فبين سبحانه أن الربا سبب النقصان دون النماء وأن الصدقة سبب النماء دون النقصان والزيادة والنقصان إنما يكونان باعتبار العاقبة والنفع في الدارين. وَاللهُ لا يُحِبُّ لا يرتضي كُلَّ كَفَّارٍ متمسك بالكفر مقيم عليه معتاد له أَثِيمٍ منهمك في ارتكابه، واختيار صيغة المبالغة للتنبيه على فظاعة آكل الربا ومستحله، وَلاَ بُدَّ مِنْ مُنَاسَبَةٍ فِي خَتْمِ هَذِهِ الآيَةِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْمُرَابِيَ لاَ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنَ الْحَلاَلِ، وَلاَ يَكْتَفِي بِمَا شَرَعَ لَهُ مِنَ التَّكَسُّبِ الْمُبَاحِ، فَهُوَ يَسْعَى فِي أكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الْخَبِيثَةِ، فَهُوَ جَحُودٌ لِمَا عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَةِ، ظَلُومٌ آثِمٌ بِأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ؛ ففي

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٧، ص/ ٨١.. وتفسير البغوي ج/ ١، ص/ ٣٨٦.
(٢) التفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر د سيد طنطاوي ـ رحمه الله ـ ج/ ١، ص/ ٦٣٧.

هذه الآية الكريمة بشارة عظيمة للمتصدقين، وتهديد شديد للمُرابين الذين استحلوا الربا، أو فعلوه مع عدم استحلالهم له. (١)..

٢- **الثناء على المُتصدقين والمُتصدقات، بمُضاعفة الله سُبحانه لعَبْدِهِ مَا تقرَّب بهِ إليه من صَدَقة أو برَ** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾(٢).

مُناسبة الآية لما قبلها

الآية الكريمة دعوة مُجدّدة إلى هؤلاء المؤمنين المُنحرفين، أن يُنفقوا في سبيل الله، بعد أن يُصححوا إيمانهم، وأن يدخلوا دُخولاً كاملاً في دين الله، وأن يُصبحوا من المؤمنين الذين خاطبهم الله سبحانه في الآيات السابقة بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ (٣).

فليلحقوا بهؤلاء المؤمنين، الذين دُعوا إلى الإنفاق في سبيل الله، واستجابوا لما دعوا إليه.. (٤).

قال ابن عاشور: " يُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الآيَةُ مِنَ الْمَدَنِيِّ وَأَنْ تَكُونَ مُتَّصِلَةَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

(١) روح المعاني للآلوسي ج/ ٢، ص/ ٥٠. وروائع البيان تفسير آيات الأحكام لمحمد علي الصابوني، ج/ ١، ص/ ٣٨٨. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ١، ص/ ٧١٦. والتفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر د سيد طنطاوي رحمه الله ج/ ١، ص/ ٦٣٨.

(٢) [الحديد: ١٨].

(٣) [البقرة: ٢٤٥].

(٤) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ج/ ١٤، ص/ ٧٦٩.

(١). وَقَدْ تَخَلَّلَ المَكِّيُّ وَالْمَدَنِيُّ كُلٌّ مَعَ الآخَرِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ألاَ تَرَى أنَّ ألْفَاظَ الآيَتَيْنِ مُتَمَاثِلَةٌ إذْ أُرِيدَ أنْ يُعَادَ مَا سَبَقَ مِنَ التَّحْرِيضِ عَلَى الإنْفَاقِ فَيُؤْتَى بِهِ فِي صُورَةِ الصِّلَةِ الَّتِي عُرِفَ بِهَا الْمُمْتَثِلُونَ لِذَلِكَ التَّحْرِيضِ" (٢)..

معاني المفردات.

١- ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ جمع المُصَدِّقُ، والمُصَدِّقُ بتَشْديد الصادِ والدال، فَهُوَ المُتَصَدِّقُ أدغِمَتْ التاءُ فِي الصادِ فَشُدِّدَتْ، و(المُتَصَدِّقُ) الَّذِي يُعْطِي الصَّدَقَة.

٢- ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بتَشْدِيدِ الصَّادِ أصْلُهُ المُتَصَدِّقِات فَقُلِبَتِ التَّاءُ صَادًا وَأُدْغِمَتْ فِي مِثْلِهَا.. والمُتَصَدِّقاتِ: هُمُ الَّذِينَ يُعْطون الصَّدَقات والصَدَقَةُ: ما تَصَدَّقْتَ به على الفقراء(٣).

٣- ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أصلُ القرْض فِي اللُّغة: القَطْعُ، وأقْرَضْتُه أي: قطَعتُ لَهُ قِطْعَة يُجازى عَلَيْهَا، وأصل القَرْض مَا يُعطيه الرَّجُلُ أو يَفْعَلُهُ ليُجازَى عَلَيْهِ، وَجَمْعُهُ قرُوضٌ، وَلَكِنَّ هَاهُنَا اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُلْتَمَسُ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ مِن صدَقةٍ أو عملٍ صَالح(٤).

(١) [الحديد: ١١].
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج/٢٧، ص/ ٣٩٥. باختصار.
(٣) مُختار الصحاح للرازي ج/ ١، ص/ ١٧٤، مادة (صدق) وتهذيب اللغة للأزهري ج/ ٨، ص/ ٢٧٧. ولسان العرب لابن منظور ج/ ١٠، ص/ ١٩٧، مادة (صدق).
(٤) لسان العرب ج/ ٧، ص/ ٢١٧، مادة (قرض). وتهذيب اللغة للأزهري ج/ ٨، ص/ ٢٦٦، مادة (قرض).

٤- ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ الْقَرْض الْحسن: قَالَ الْحسن: كل مَا فِي الْقُرْآن من الْقَرْض الْحسن فَهُوَ التَّطَوُّع، وفي المُعجم الوسيط: "الْقَرْض الْحسن قرض بِدُون ربح أو فَائِدَة تجارية والجمع: قروض(١).

٥- ﴿يُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ يقال: (ضعف) الشَّيْء ضعفا جعله ضعفين وَالْقَوْم كثر عَددهمْ و(أضْعَف) الرجل نما مَاله واتسع و(ضاعفه) ضاعف لَهُ الْعَطاء وَغَيره (٢)..

٦- ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ **الأجْرَ**: هُوَ الثَّوَاب الَّذِي يكونُ من الله، عَزّ وجلّ، للعَبْد على العَمَل الصّالح، والإجارةُ هُوَ جزاءُ عَمَل الإنسان لصاحبه(٣).

والكَرِيمُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى هُوَ الْجَوَادُ المُعْطى الَّذِي لاَ يَنْفَدُ عَطاؤه. وَهُوَ الكَرِيمُ المُطْلَق. وَالْكَرِيمُ الْجَامِعُ لأَنْوَاعِ الْخَيْرِ والشَّرَف وَالْفَضَائِل(٤)..

القراءات:

قرَأ ابْن كثير وأبو بكر{ إن المصدقين والمصدقات} بتَخْفِيف الصَّاد فيهمَا أي المُؤمنِينَ وَالْمُؤْمِنَات الَّذين صدقُوا الله وَرَسُوله. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {إن المصدقين والمصدقات} بتَشْدِيد الصَّاد فيهمَا أرَادوا المتصدقين والمتصدقات فأدغموا التَّاء فِي الصَّاد؛ لقرب مخرجيهما... وأصل الكلام: المتصدقين والمتصدقات. وَذَلِكَ أن الْقَرْض هُوَ أشبه بِالصَّدَقَةِ من التَّصْدِيق(٥).

---

(١) الكليات لأبي البقاء، ج/ ١، ص/ ٧٠٢، (فصل الْقَاف)، والمُعجم الوسيط ج/ ٢، ص/ ٧٢٧. مادة (قرض).

(٢) المُعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ج/١، ص/ ٥٤٠. مادة (ضعف).

(٣) تاج العروس للزبيدي ج/ ١٠، ص/ ٢٥. مادة (أجر).

(٤) النهاية في غريب الحديث ج/٤، ص: ١٦٦، وتهذيب اللغة للأزهري ج/ ١٠، ص/ ١٣٢. مادة (كرم).

(٥) حُجة القراءات المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة ج/ ١، ص/ ٧٠١.

المعنى العام للآية:

يبين الله – سبحانه وتعالى – في الآية الكريمة أجر الصدقة، ومُضاعفة ثوابها، قِيُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يُثِيبُ بِهِ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ بِأَمْوَالِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ، وما أعده للمؤمنين الذين يبذلون أموالهم في سبيله. والذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. فقال: "إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً، يُضاعَفُ لَهُمْ، وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ. فيُقَابِلُ لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويُزاد عَلَى ذَلِكَ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَفَوْقَ ذَلِكَ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ أَيْ: ثَوَابٌ جَزِيلٌ حَسَنٌ ومرجع صالح ومآب كريم.

والمعنى: إن المؤمنين والمؤمنات الذين تصدقوا بأموالهم في وجوه الخير والدين وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً بأن أنفقوا أموالهم الحلال في سبيل الله بدون من أو أذى. هؤلاء الذين فعلوا ذلك يُضاعَفُ لَهُمْ أجرهم عند الله- تعالى- أضعافا كثيرة. وَلَهُمْ فضلا عن كل ذلك، أجر كريم، لا يعلم مقداره إلا هو- سبحانه-(١)..

فالله تعالى حث المسلم على التصدق وربط بين الصدقة والزيادة في الرزق؛ **ففي الآية الكريمة إشارة واضحة** وصريحة إلى أن الصدقة ترجع لصاحبها حقيقة، فضلاً عن الأجر، حيث سماها «قَرْضا»، والقرض حقه السداد، والمقترض هو الله سبحانه ولا أحد أوفى منه، وهكذا، فإن رجوعها مقطوع به. ويقول النبي، صلى الله عليه وسلم: **«هَلْ تُنْصَرُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ»**(٢).

فمن رغب في بركة رزقه فلا ينسى الضعفاء والمحتاجين، فإن الصدقة عليهم من أسباب البركة في الرزق، تزين المال وتباركه، ولا بد أن يعي المسلم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ٨، ص/ ٥٥. والتفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر ج/ ١٤، ص/ ٢١٧. باختصار.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير / باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ج/، ص/ ٣٦، ص/ ح رقم(٢٨٩٦).

أن الله خلق الخلق وتكفل بأرزاقهم، وهو سبحانه المختص بالرزق وحده، حيث إن الرزق مقدر ومقسوم والأمر فيه محسوم، وليعلم كل مسلم حتى لو كان فقيراً أنه يستطيع التصدق؛ فالصدقة سبب للبركة فيما بقي من مال ويخلف الله على الإنسان بدلها في الدنيا بجانب الأجر الذي يبقى له في الآخرة.

ولما كان للصدقة هذا الفضل العظيم يتمني الانسان الصدقة عند لحظة الموت وأن يعود للحياة؛ ليتصدق ويكسب رضا الله - سبحانه وتعالى - قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ (١).

أي: أنفقوا ما رزقناكم في سبيل الخير، شكرا على النعمة، ورحمة بالفقراء، ورعاية لمصلحة الأمة العامة، من قبل مجيء أسباب الموت ومشاهدة علاماته، فيقول الواحد منكم: هلا أمهلتني وأخّرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة، فأتصدق بمالي، وأكن من الصالحين المستقيمين ففي الآية إِشَارَةٌ إِلى أَنَّ الإِنْفَاقَ الْمَأْمُورَ بِهِ شكر لله عَلَى مَا رَزَقَ الْمُنْفِقُ فَإِنَّ الشُّكْرَ صَرْفُ الْعَبْدِ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ فِيمَا خُلِقَ لأَجْلِهِ،... (٢).

فَكُلُّ مُفَرِّط يَنْدَمُ عِنْدَ الاحْتِضَار، وَيَسْأَلُ طُولَ الْمُدَّةِ وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا، يَسْتَعْتِبُ وَيَسْتَدْرِكُ مَا فَاتَهُ، وَهَيْهَاتَ! كَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا هُوَ آتٍ، وَكُلٌّ بِحَسَبِ تَفْرِيطِهِ(٣)

(١) [المنافقون: ١٠، ١١].
(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لـــ د وهبة بن مصطفى الزحيلي ج/ ٢٨، ص/ ٢٣٠. والتحرير والتنوير لابن عاشور ج/ ٢٨، ص/ ٢٥٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ٨ ١٣٣، ص/ ١٣٣.

فعلى المسلم أن يجتهد في الصدقة، والبذل؛ ابتغاء مثوبة الله تعالى؛ فالصدقة الجارية، تعود بالخير على صاحبها حتى بعد موته.

٣- الصدقة تُكفر الذنوب والإسرار بها أفضل إذا لم يكن في إعلانها مصلحة.

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ (١).

مُناسبة الآية لما قبلها

بعد أن رغب تعالى في الإنفاق في سبيله، أوضح أن الله يعلم مصرف كل صدقة، سواء أكانت في طاعة أم في معصية، وخيرنا بين إخفاء صدقة التطوع وإظهارها، ولكن الإخفاء هو الأفضل، ويؤيده حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم

(١) [البقرة: ٢٧١]. وقوله: «إِنْ تُبْدُوا» إن شرطية تبدوا فعل مضارع مجزوم بحذف النون لأنه فعل الشرط والواو فاعل «الصَّدَقاتِ» مفعول به منصوب بالكسرة والجملة مستأنفة «فَنِعِمَّا» الفاء رابطة لجواب الشرط نعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والفاعل ضمير مستتر يفسره ما بعده «ما» نكرة تامة مبنية على السكون في محل نصب على التمييز وجملة «فَنِعِمَّا» في محل جزم جواب الشرط «هِيَ» خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الخصلة هي وقيل مبتدأ مؤخر «وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ» إن شرطية تخفوها فعل مضارع مجزوم بحذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به ومثلها تؤتوها والفقراء مفعول به ثان «فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» الفاء رابطة لجواب الشرط هو خير مبتدأ وخبر والجار والمجرور متعلقان بخير والجملة جواب الشرط «وَيُكَفِّرُ» الواو استئنافية يكفر مضارع مرفوع «عَنْكُمْ» متعلقان بيكفر «مِنْ سَيِّئاتِكُمْ» متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محذوف أي بعضا من سيئاتكم وقيل من زائدة «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» لفظ الجلالة مبتدأ وخبير خبر تعلق به الجار والمجرور والجملة استئنافية وجملة تعملون صلة الموصول.. إعراب القرآن الكريم للدعاس، ج/ ١، ص/ ١١٥.

شماله ما تنفق يمينه» فكان موضوع الآية الترغيب في إخفاء الصدقات بعداً عن الرياء(١) ..

معاني المفردات.

﴿إِن تُبْدُوا﴾ يُقال: (بدا) بدواً وبداءً: ظهر و(أبدى) الشَّيْء أظهره وصفحته أظهر الْمُخَالفَة و(تبدى) ظهر وَأقَام بالبادية. والبداء أصله الظُّهُور تَقول بدا لي الشَّيْء إذا ظهر وَتقول بدا لي فِي الشَّيْء إذا ظهر لَك فِيهِ رَأي لم يكن ظَاهراً لَك فتركته لأجل ذلك وَالْبُدُوُّ الظُّهُورُ عَلَى وَزْنِ الْفُعُول(٢).

﴿ٱلصَّدَقَٰتِ يَقُومُ﴾ الصدقة في اللغة: مَا يُعْطى على وَجه الْقُرْبَى لله، أو هي العطية تُبتَغي بها المثوبة من الله تعالى(٣).

﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (نعم) فعل غير مُتصرف لإنشاء الْمَدْح يُقَال نعم الْفَتى وَنعم الفتاة وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {نعم العَبْد إنَّه أواب} و{نعم أجر العاملين} وتلحق بِهِ

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج /٢، ص/ ٦٧. وحديث السبعة: جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ". الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْكُسُوفِ/ بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ ج/ ٢، ص/ ٧١٥، ح رقم (١٠٣١).

(٢) الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى للعسكري ج/ ١، ص/ ٦٠. والمُعجم الوسيط ج/ ١، ص/ ٤٤.

(٣) المُعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ج/١، ص/ ٥١١، والتعريفات للجُرجاني ج/١، ص/ ١٣٢.

(مَا) وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {إِن تبدوا الصَّدقَات فَنعما هِيَ} ويُقَال نعم عيشه وباله هدأ واستراح وَبِه سر واستمتع (١).

﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ يقال: (خَفِي) الشَّيْء خَفَاء وخفية استتر وَيُقَال (أخْفى) الشَّيْء ستره وكتمه و(اختفى) و(تخفى) الشَّيْء استتر وتوارى..

والإخفاء: الستر وُيقابله الإبداء والإعلان، وقيل: الإخفاء تغييب الشيء، وأن لا يجعل عليه علامة يُهتدى إليه من جهتها(٢).

﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ يُقَال: آتَانِي فَأخَذته، والإيتاء فِي أكثر مَوَاضِع الْقُرْآن فِيمَا لَهُ ثبات وقرار، كالحكمة والسبع المثاني، وَالْملك الَّذِي لاَ يُؤْتى إِلاَّ لذِي قُوَّة.

والفرق بين الايتاء والاعطاء: أنَّ الإيتاءَ أقْوَى مِنَ الإعْطاءِ فِي إثْباتِ مفْعولِه؛ لأنَّ الإعْطاءَ لَهُ مُطاوِعٌ بخِلافِ الإيْتاءِ، تقولُ: أعْطاني فعطوت، وَلاَ يقالُ آتَاني فَأتيت، وإنَّما يقالُ آتَاني فأخَذْتُ، والفِعْلُ الَّذِي لَهُ مُطاوِعٌ أضْعَفُ فِي إثْباتِ مَفْعولِه ممَّا لاَ مُطاوِعَ لَهُ، لأنَّك تقولُ قَطَعْته فانْقَطَعَ، فيدلُّ على أنَّ فِعْلَ الفاعِلِ كانَ مَوْقوفاً على قُبولِ المَحلِّ، لولاه مَا ثَبَتَ المَفْعُولُ، وَلِهَذَا لاَ يصحُّ قَطَعْته فَمَا انْقَطَعَ، وَلاَ يصحُّ فيمَا لاَ مُطاوعَ لَهُ ذَلِك (٣).

﴿الْفُقَرَاءَ﴾ جمع (الْفَقِير) وهو المكسور الفقار والفقير َمن النَّاس من لاَ يملك إلاَّ أقل الْقُوت و(افْتقر) صَار فَقِيرا وَإِلَى الأمر احْتَاجَ، والْفقر العوز وَالْحَاجة و(تفاقر) تظاهر بالفقر(٤).

---

(١) المُعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ج/٢، ص/ ٩٣٥. مادة (نعم).
(٢) المُعجم الوسيط ج/ ١، ص/ ٢٤٧، والتوقيف على مُهمات التعاريف للمناوي ج/ ١، ص/ ٤٢.
(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي ج/ ١، ص/ ٢١٢. وتاج العروس للزبيدي ج/ ٢٧، ص/ ٣٥
(٤) المُعجم الوسيط ج/ ٦، ص/ ٦٩٧.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ **التَّكْفير**: سَتْرُ الذَّنْب وتغطِيَتُه بحيث يصير بمنزلة ما لم يفعل. وَقَوله تَعَالَى: لَكَفَّرْنا عَنْهُم سيئاتهم أي سَتَرْناها حَتَّى تَصير كأنْ لم تكنْ، أو يكون المَعنى: نُذهِبُها ونُزيلُها، من بَاب التَّمْريض لإزالةِ المَرَض(١).

﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾ السيئات: جمع السيئة والسَّيِّئَةُ: الفعلة القبيحة، وهي ضدّ الحسنة(٢).

﴿خَبِيرٌ﴾ **الخبير**: اسْم من أسمَاء الله عز وَجل الْعَالم بِمَا كَانَ وَمَا يكون وَذُو الْخِبْرَة الَّذِي يخبر الشَّيْء بِعِلْمِهِ(٣)..

القراءات:.

قرأ حَمْزَة وَابْن عَامر وَالْكسَائِيّ {فَنعما هِيَ} بِفَتْح النُّون وَكسر الْعين وحجتهم أن أصل الْكَلِمَة نعم فَأتوا بِالْكَلِمَةِ على أصْلهَا وَهِي أحسن لِأَنَّهُ لَا يكون فِيهَا الْجمع بَين ساكنين.

وَقَرَأ ورش وَابْن كثير وَحَفْص {فَنعما} بِكَسْر النُّون وَالْعين وَقد بَينا أن الأصْل فِيهَا نعم بِفَتْح النُّون وَكسر الْعين وَتركُوا الْعين على أصْلهَا.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ **قَرَأ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَأَبُو بكر** {ونكفر} برَفْع الرَّاء على الِاسْتِئْنَاف يَقُول الله جلّ وَعز وَنَحن نكفر وحجته قَوْله {فَهُوَ خير} لكم لما كَانَ جَوَاب الْجَزَاء فِي الْفَاء وَلم يكن فعلا مَجْزُومًا لم يستجيزوا أن ينسقوا فعلا على غير جنسه وَلَو كَانَ جزما لجزموا الْفِعْل المنسوق على الْجَزَاء إِذا كَانَ فعلا مثله وَقَرَأَ نَافِع وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ

(١) التوقيف على مُهمات التعاريف للمناوي ج/، ص/ ١٠٧، وتاج العروس للزبيدي ج/ ١٤، ص/ ٦٠.
(٢) المُفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ج/ ١ / ص: / ٤٤٢.
(٣) المُعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ج/ ١، ص/ ٢١٥.

{ونكفر} بالْجَزْمِ على مَوضِعِ {فَهُوَ خير لكم} لأن الْمَعْنى يكن خيرا وَاحْتَجُّوا بِأن قَالُوا الْجَزْم أولى ليخلص معنى الْجَزَاء وَيعلم بِأن تَكْفِير السَّيِّئَات إِنَّمَا هُوَ ثَوَاب للمتصدق على صدقته وَجَزَاء لَهُ وَإِذا رفع الْفِعْل احْتمل أن يكون ثَوابًا وَجَزَاء وَاحْتمل أن يكون على غير مجازاة وَكَانَ الْجَزْم أبين الْمَعْنيين.

وَقَرَأَ ابْن عَامر وَحَفْص {وَيكفر} بِالْيَاءِ وَالرَّفْع على الِاسْتِئْنَاف أَيْضا وَيكون إِخْبَارًا عَن الله ـ عز وَجل ـ أنه يُكفر السَّيِّئَات(١).

المعنى العام للآية:

جاءت الآية الكريمة لبيان حُكْمٌ آخَرُ مِنْ أَحْكَامِ الصَّدَقَاتِ يَشْعُرُ بِالْحَاجَةِ إِلَيْهِ الْمُخْلِصُونَ الَّذِينَ يَتَحَامَوْنَ الرِّيَاءَ وَالْفَخْرَ فِي الإِنْفَاقِ، وَمَا كُلُّ مُظْهِرٍ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ مُرَائِيًا بِهِ وَلَكِنْ كُلُّ مُخْفٍ لَهُ بَعِيدٌ عَنِ الرِّيَاءِ؛ فجاء قوله تعالى: **«إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ»** بيان لفضل الإحسان ومنزلته عند الله، وأنه مقبول على أي حال، سواء كان في سر أو في جهر، ما دامت النيّة الخالصة من ورائه، غير متبوع بمن ولا أذى!. أي: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ أَيْ فَنِعْمَ شَيْئًا إِبْدَاؤُهَا، فإبداء الصدقات لا مانع منه إن كان من يفعل ذلك يريد أن يكون أسوة، المهم أن يخرج الرياء من القلب لحظة إعطاء الصدقة، فالحق يوضح: إياك أن تنفق وفيك رئاء، أما من يخرج الصدقة وفي قلبه رياء فالله لا يُحرم المحتاجين من عطاء معطٍ؛ لأنه سبحانه يؤكد: خذوا منه وهو الخاسر؛ لأنه لن يأخذ ثواباً، لكن المجتمع ينتفع.

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ إِخْفَاءَهَا وَإِيتَاءَهَا الْفُقَرَاءَ، خَيْرٌ مِنْ إِبْدَائِهَا الَّذِي مَدَحَهُ بِالْفِعْلِ الْجَامِدِ، الَّذِي هُوَ لإِنْشَاءِ الْمَدْحِ الَّذِي هُوَ نَعِمَّ، فقال: "وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ أَيْ إِنَّ إِعْطَاءَهَا لِلْفُقَرَاءِ فِي الْخُفْيَةِ وَالسِّرِّ أَفْضَلُ مِنَ الإِبْدَاءِ؛ لِمَا فِي الإِخْفَاءِ مِنَ الْبُعْدِ عَنْ شُبْهَةِ الرِّيَاءِ وَمَثَارِهِ، وَمِنْ إِكْرَامِ الْفَقِيرِ وَتَحَامِي إِظْهَارِ فَقْرِهِ

(١) حُجة القراءات لابن زنجلة ج/ ١، ص/ ١٤٨.

وَحَاجَتِهِ، ولعل التصريحَ بإيتائها الفقراءَ مع أنه واجبٌ في الإبداء أيضاً؛ لما أن الإخفاءَ مظِنةُ الالتباس والاشتباه فإن الغنيَّ ربما يدّعي الفقرَ ويُقدمُ على قَبول الصدقةِ.

وصدقة التطوع، من الخير أن تقع ليد مستحقها من الفقراء في ستر وخفية، حتى لا يخدش حياؤه، ولا يظهر للناس في موقف يجرحه ويحرجه. **وفى هذا التدبير تبرز وجوه من الحكمة**: فأولا: حفظ الكرامة الإنسانية، وصونها.

ثانيا: قهر مشاعر التعالي والتعاظم في نفس من يتصدق.

ثالثا: إشعار المتصدق عليه أنه بسؤاله واستجدائه ومدّ يده إلى الغير، إنما يأتي عملا شائناً، ومن الحكمة أن يفعله الإنسان- إذا اضطر إليه- في ستر وخفاء، وفى هذا تحريض له على التحول من هذا الموقف، والتماس وجه للعمل، حتى بكفّ يده عن السؤال! **وقوله**: **"وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُم" أيْ**: وَيَمْحُو عَنْكُمْ بَعْضَ سَيِّئَاتِكُمْ. وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أيْ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ نِيَّاتُكُمْ فِي الإِبْدَاءِ وَالإِخْفَاءِ- فَإِنَّ الْخَبِيرَ هُوَ الْعَالِمُ بِدَقَائِقِ الأُمُورِ. أي أن الله- تعالى- عليم علماً دقيقاً بكل ما تعملونه أيها المؤمنون، فعليكم أن تخلصوا له أعمالكم، وأن تراقبوه في سركم وجهركم، وأن تسارعوا في عمل الخيرات التي ترفع درجاتكم عند خالقكم.

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد مدحت صدقتي الجهر والسر متى كان المتصدق متبعا آداب الإسلام وتوجيهاته، ومبتعدا عن كل ما يبطل الصدقات، ويحبط الأعمال.

(١).

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج/ ٣، ص/ ٦٧. وتفسير أبو السعود ج/ ١، ص/ ٢٦٣. والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ج/ ٢، ص/ ٣٤٥. وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ج/ ٦، ص/ ٣٥٨. وتفسير الشعراوي ج/ ٤، ص/ ٢٢٣٣.

وفيها تفضيل لصدقة السرّ؛ لأنّ فيها إبْقاء على ماء وجه الفقير، حيث لم يطّلع عليه غير المُعطي. **لذا يقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير الآية الكريمة**: "فِيهِا دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّ إِسْرَارَ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ مِنْ إِظْهَارِهَا؛ لأَنَّهُ أَبْعَدَ عَنِ الرِّيَاءِ، إِلاَّ أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَى الإِظْهَارِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ، مِنَ اقْتِدَاءِ النَّاسِ بِهِ، فَيَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ"(١).

فعلى المسلم أن يَلزم الإخلاص في كل أعماله، فلا يُخبر بها أحدًا، ويتجنب كل سبيل يؤدي إلى الرياء، وقد تقتضي الضرورةُ إعلان الصدقة عندما يستوجب الأمر

ذلك؛ تحقيقًا لمصلحة شرعية.. وعليه ألا يُبطل صدقاته بالمن والأذى؛ فلا يُؤذيَ مشاعر غيره، سواءٌ بالتلميح أو التصريح، أو بالإشارة أو التذكرة، بل يتذكر فضل الله - سبحانه - عليه، ويُحسِن إلى الناس كما أحسن الله - تعالى - إليه؛ قال الله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ (٢).

يقول العلامة ابن جرير عند تفسير الآية الكريمة " أي: لا تبطلوا أجورَ صدَقاتكم بالمنّ والأذى، كما أبطل كفر الذي ينفق ماله = (رئاء الناس)، وهو مراءاته إياهم بعمله، وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناسُ في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه، وهو غيرُ مريدٍ به الله ولا طالب منه الثواب. وإنما

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ١، ص/ ٧٠١. والتفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر د سيد طنطاوي ـ رحمه الله ـ ج/١، ص/ ٦٢٢.
(٢) [البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤].

ينفقه كذلك ظاهرًا؛ ليحمده الناس عليه فيقولوا: هو سخيّ كريم، وهو رجل صالحٌ" فيحسنوا عليه به الثناء، وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية في إنفاقه ما أنفق، فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر(١).

فالآية الكريمة نهيٌ للمؤمنين عن المنّ والأذى عند إنفاقهم في سبيل اللهّ؛ لأنّ ذلك يُحبط أعمالهم.

ومن أساليب القرآن الكريم في حل مُشكلة الفقر من المُجتمع: **الحث على صلة الرحم** بمُساعدةُ الأقارب، ودفعٌ للبلاءِ عنهم؛ ممّا يجعله سبباً في سعة الرزق. فقرن الله- تعالى- حق القُربى في الإحسان بحقه- سبحانه وتعالى-: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ (٢).

وعبادة الله: الخضوع لله والاستسلام له سرّا وعلناً، باطناً وظاهراً مع الإخلاص، ثم أمر الله – سبحانه- بالإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين: أي وأحسنوا كذلك إلى أقاربكم الذين جمعت بينكم وبينهم رابطة القرابة والنسب، وإلى اليتامى الذين فقدوا الأب الحاني بأن تعطفوا عليهم، وترحموا ضعفهم، وتحسنوا تربيتهم ورعايتهم. وإلى المساكين الذين هم في حاجة إلى العون والمُساعدة لفقرهم وضعفهم وعدم وجود ما يقوم بكفايتهم. (٣).

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري ج/ ٥، ص/ ٥٢٢.
(٢) [النساء: ٣٦].
(٣) التفسير المنير لـ د وهبة الزحيلي، ج/ ٥، ص/ ٦٣، والتفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر د سيد طنطاوي – رحمه الله - ج/ ٢، ص/ ١٤٧.

فالآية الكريمة أمر من الله تعالى بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب بعد الأمر بعبادته والقيام بحقه - سبحانه وتعالى -.

وأمر الله- تعالى- بإعطائهم ما يحتاجون فقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (١).

قال الإمام ابن عطية في تفسير هذه الآية: " وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى لفظ يقتضي صلة الرحم ويعم جميع إسداء الخير إلى القرابة، وتركه مبهما أبلغ؛ لأن كل من وصل في ذلك إلى غاية وإن علت يرى أنه مُقصر، وهذا المعنى المأمور به في جانب ذِي الْقُرْبى داخل تحت «العدل» والإِحْسانِ:، لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماماً به وحضاً عليه"(٢).

وقال تعالى: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾(٣) . وقوله: فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ أي: مجاعة يُقال: سغب الرجل إذا جاع و﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم (٤).

وجعل لهم حقاً فقال- تعالى- في كتابه الكريم: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾(٥) "وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ"، يَعْنِي: صِلَة الرَّحِمِ،

(١) [النحل: ٩٠].
(٢) المُحرر الوجيز لابن عطية ج/ ٣، ص/ ٤١٦.
(٣) [البلد: ١٤، ١٥].
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، ج/٢، ص/ ٤٨٥.
(٥) [الإسراء: ٢٦].

وَأَرَادَ بِهِ قَرَابَةَ الإِنْسَانِ وَعَلَيْهِ الأَكْثَرُونَ. (١).

وقال سبحانه: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾(٢) أي: يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا بِإِعْطَاءِ ذِي الْقُرْبَى حَقَّهُ أَيْ مِنَ الْبَرِّ وَالصِّلَةِ، وَالْمِسْكِينَ وَهُوَ الَّذِي لاَ شَيْءَ لَهُ يُنْفِقُ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ شَيْءٌ لاَ يَقُومُ بِكِفَايَتِهِ، وَابْنَ السَّبِيلِ وَهُوَ الْمُسَافِرُ الْمُحْتَاجُ إِلَى نَفَقَةٍ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِ، ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ أي النَّظَرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى، وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. (٣).

وفي السُّنة النبوية المُطهرة جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - صلة الأرحام ومواساتهم سبباً في سعة الرزق، ففي الحديث المتفق عليه عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**(٤). فوعد الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- الواصل لرحمه بسعة الرزق.

. **يتبين مما سبق**: أن الأقارب والأرحام مُلزمون بكفالة قريبهم الفقير وإعانته من أموالهم؛ فأوجب الإسلام ٠على الأغنياء تفقد أحوال أقاربهم الذين أصابهم الفقر؛ بسبب عجزهم، أو بسبب وفاة المعيل لهم، أو كبر سنهم وشيخوختهم حقاً وصدقة وصلة رحم.

---

(١) تفسير البغوي ج/ ٣، ص/ ١٣٠.
(٢) [الروم: ٣٨].
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ٦، ص/ ٢٨٦.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب / الطلاق، باب / اللعان، ج/ ٨، ص/ ٩ / ح رقم (٦٠٠٥).

كما حث الإسلام على إعانة المحتاج، وكفالة الأيتام والأرامل. والوقوف بجانب الضعيف من غير الأقارب، **وبين الإسلام أن** الصدقة على اليتيم لها قيمة كبيرة عند الله تعالى، لأن اليتيم من أكثر عباد الله المستضعفين والمحتاجين. قالَ رَسُولُ اللهِّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ كَهَذَا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا»** (١).

ففيه إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ بَيْنَ دَرَجَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَافِلِ الْيَتِيمِ قَدْرُ تَفَاوُتِ مَا بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى (٢).

قال ابن بطال: "حق على كل مؤمن يسمع هذا الحديث أن يرغب في العمل به ليكون في الجنة رفيقًا للنبي ـ عليه الصلاة والسلام - ولجماعة النبيين والمرسلين- صلوات الله عليهم أجمعين- ولا منزلة عند الله في الآخرة أفضل من مُرافقة الأنبياء"(٣).

ومن صور تقديم الصدقة للجيران الفقراء؛ السعي على شئونهم كتقديم الخبز لهم، أو الطعا م، وتقديم الملابس لهم في الأعياد. كما قال رسول الله - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ** وَيَقُومُ اللَّيْلَ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب / الأدب، باب / من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ج/ ٨، ص/ ٥ / ح رقم (٥٩٨٥).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ج/ ٤، ص/ ٥٤٢.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج/ ٩، ص/ ٢١٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب / الأدب، باب / باب الساعي على الأرملة، ج/ ٨، ص/ ٩ / ح رقم (٦٠٠٦).

قَالَ النَّوَوِيُّ: "المُرَادُ بِالسَّاعِي الكَاسِبُ لَهُمَا العَامِلُ لِمُؤْنَتِهِمَا، وَالأَرْمَلَةُ مَنْ لاَ زَوْجَ لَهَا، سُمِّيَتْ أَرْمَلَةً؛ لِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الإِرْمَال، وَهُوَ الْفَقْرُ وَذَهَابُ الزَّادِ بِفَقْدِ الزَّوْجِ"(١).

أي: ثَوَابُ الْقَائِمِ بِأَمْرِهِمَا وَإِصْلاَحِ شَأْنِهِمَا وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا، كَثَوَابِ الْغَازِي فِي جِهَادِهِ، فَإِنَّ المَالَ شَقِيقُ الرُّوحِ، وَفِي بَذْلِهِ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ وَمُطَالَبَةُ رِضَا الرَّبِّ(٢).

وبالنظر في المُجتمع من حولنا نجد أن فئاتٍ من الناس يزهَدون في العمل مُعتمِدين على الصدقات والزَّكَوات والتبرُّعات والأعطِيات، وقد يتزلَّفُ مُتزلِّفٌ لدى الأغنياء والوُجَهَاء والكُبَراء أشبَه بالمُتسوِّل والشَّحَّاذ؛ لتكون يدُهُ هي السُّفْلَى، يستجْدِي المِنَحَ والعطايا، قويًّا قادرًا لا تحلُّ له الصدقاتُ ولا الزَّكَوات، وما علموا أن الإسلام لم يجعل لمُتبطِّلٍ كسولٍ حقًّا في صدقات المُسلمين وإحسانهم، وما ذلك إلا؛ ليدفعَ القادرين للعمل والكسبِ الحلال، وما فتحَ عبدٌ على نفسهِ بابَ مسألةٍ إلا فتحَ الله عليه بابَ فقرٍ.

أثر الصدقة في علاج الفقر من المجتمع:

للصدقة فوائد عظيمةٌ تعود على المُجتمع فلها بالغ الأثر في حلّ مشكلة الفقر بعد الاعتماد على العمل والزكاة، ويتمثل ذلك في الآتي:

[١] الصدقةُ سبيلٌ لحلّ ومُعالجة مشكلة الفقر وانتزاعها من جذورها من خلال تمثُّل الغنيّ لحال الفقير واستشعاره به، ممّا يُعين الفقير على قضاء حوائجه وسداد ديونه. فيتم القضاء على الفقر في المجتمع، مما يؤدي إلى خلق مُجتمع سليم وخالٍ من الجريمة.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ج/ ١٨، ص/١١٢.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لنور الدين الملا الهروي ج/ ٧، ص/ ٣١٠١.

[٢] تدلُّ الصدقة على التكافل الاجتماعي؛ فبها تنكسر جَميعُ الحواجز بين الغنيّ والفقير، وتسود روح المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع بشكلٍ يضمن تماسكه وقوته، وتختفي مظاهر الحسد والحقد في طبقة الفقراء للأغنياء الناتج عن تقتير الأغنياء في النفقة واقتصارها على أنفسهم، ويُعزّز ذلك قيمة المسؤوليّة لدى الفقير فيضطرّه للسعي والعمل بدلاً من سؤال الناس(١). .

[٣] الصدقة تُظهر قوة المُجتمع المُسلم المُتماسك، وتنشرُ المودَّة بين المؤمنين؛ فتعمل على تنمية الشعور والإحساس بالآخر فيحس الغني بالفقير فإنَّ بذْلها من الأغنياء للفقراء يدلُّ على عَطْفهم عليهم، ورقَّة قلوبهم نحوهم، ومودَّتهم لهم، ومحبَّتهم إيَّاهم؛؛ فإنَّ النفوس جُبِلتْ على حُبِّ مَن أحسنَ إليه.

فقد جاء في الصحيح عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»** (٢).

ففيه حث على تقديم يد العون للمحتاج والفقير، وتقديم الصدقات للقريب، والجار، والصديق، والغريب المحتاج.

قال ابن حجر: " وَفِيهِ تَعْظِيمُ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَالْحَضُّ عَلَى تعاونهم وملاطفة بَعضهم بَعْضًا"(٣).

وشجّع النبي الكريم على تقديم الصدقة بشكلٍ عامّ؛ **فقال- عليه الصلاة والسلام-: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ،**

---

(١) الصدقة وأثرها الاجتماعي خالد الدوس عبر موقع الانترنت. https: //www. al-jazirah. com/٢٠١٥/٢٠١٥٠٧٠٤/rj٩. htm

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب / الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/ بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، ج / ٤، ص/١٩٩٩، ح رقم (٢٥٨٥).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج/ ١٠، ص/ ٤٣٩.

أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(١). ففيه تشجيع الموسرين على الصدقة: وذلك بأن يتصدّق الناس على الفقراء والمساكين.

ومعنى هذا الحديث: الحض على الإنفاق في الواجبات، كالنفقة على الأهل وصلة الرحم، ويدخل فيه صدقة التطوع، والفرض، ومعلوم أن دعاء الملائكة مُجاب(٢).

فالإسلام حين شرع الصدقة، جعلها طُهرة للنفس من الشُّح والبخل، ووقاية للنفس من الشهوات، وللمجتمع من الفقر، والله شرع الصدقة لغايات نبيلة وحكم جليلة تتحقق بها المصالح وتتآلف بها القلوب وتُقضي بها الحوائج، ويُستعان بها علي النوائب وهي صورة من صور الأمن والأمان للفرد والمجتمع.

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ج/ ٣، ص/ ٤٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب / الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/ باب قول الله تعالى: (ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ) [الليل: ٥ ــ ١٠] «اللهم أعط منفق مال خلفا»، ج / ٢٤، ص/ ١١٥، ح رقم (١٤٤٢).

المطلب الثالث: "الحث على الإنفاق في سبيل الله، وأثره في تهذيب غريزة حب التملك، وفي الترهيب من البُخل بحق الفقير والمسكين.. "

لما جُبلت النفوس على حُب المال والسعي إلى كنزه، كان إنفاق من أنفق ماله في سبيل الله، وخالف ما جُبل عليه، كان ذلك برهان إيمانه وصحة يقينه.

فحث الإسلام على الإنفاق في أوجه الخير، وبَشَّر المُنْفقين بالأجر والثواب الجزيل؛ حيث ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحث على الإنفاق ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "هَذَا مَدْحٌ مِنْهُ تَعَالَى لِلْمُنْفِقِينَ فِي سَبِيلِهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ في جميع الأوقات من ليل ونهار، والأحوال من سر وجهر، حَتَّى إنَّ النَّفَقَةَ عَلَى الأَهْلِ تَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا".. (٢).

وهذا يدل على فضل النَّفقة في البرِّ وأنواع الخير، وأنَّ الله جلَّ وعلا يكتُب له ثوابَ ذلك، حتى ولو كان في أهله: في زوجته وأولاده ومَن تحت يده، فعليه أن يحتسب ذلك عند الله، فالله يكتب له الأجر والثواب على ذلك.

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ

(١) [البقرة: ٢٧٤].
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ١، ص/ ٥٤٥.

﴿ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾(١)أي: من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة {وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّن الأرض} من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات {وَلاَ تَيَمَّمُواْ الخبيث} ولا تقصدوا المال الرديء {مِنْهُ تُنفِقُونَ} تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال أي ولا تيمموا الخبيث منفقين أي مقدرين النفقة {وَلَسْتُم بِأَخِذِيهِ} وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم {إِلا أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ} إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه {واعلموا أَنَّ الله غَنِيٌّ} عن صدقاتكم {حَمِيدٌ} مستحق للحمد أو محمود(٢).

فالآية الكريمة أمر من الله تعالى لعباده بالإنفاق يعني الصدقة من طيبات ما كسبوا من المال بالتجارة، ومما أخرجه الله من الأرض من الثمار والزروع التي أنبتها الله تعالى، ونهاهم الله تعالى عن القصد لإخراج الخبيث من المال، فكما لا يرضى أحدكم أن يأخذ الرديء لنفسه فلا يليق أن يتقرب به إلى الله.

وبيَّن الله لعباده أنهم مُستخلفون في هذا المال، وحثهم على الإنفاق منه فقال:

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾(٣).

يعنى أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما موّلكم إياها، وخوّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة. وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنوّاب، فأنفقوا منها في حقوق الله، وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره

(١) [البقرة: ٢٦٧].
(٢) تفسير النسفي ج/ ١، ص/ ٢٢٠.
(٣) [الحديد: ٧].

إذا أذن له فيه. أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم: بتوريثه إياكم، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به، وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم(١).

وجعل - سبحانه - كل ما أنفقه العبد في وجوه الخير طلباً لرضا الله تعالى فإن الله تعالى يُخلفه على صاحبه ويُنميه له ويعود خيره عليه قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾(٢).

أي: نفعه راجع إليكم. **قال القرطبي**: " يُوَفَّ إِلَيْكُمْ" تَأْكِيدٌ وَبَيَانٌ لِقَوْلِهِ: " وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ" وَأَنَّ ثَوَابَ الإِنْفَاقِ يُوَفَّى إِلَى الْمُنْفِقِينَ وَلاَ يُبْخَسُونَ مِنْهُ شَيْئًا فَيَكُونُ ذَلِكَ الْبَخْسُ ظلماً لهم"(٣).

ووعد سبحانه- وهو الجواد الكريم الذي لا يُخلف الميعاد- بالإخلاف على من أنفق في سبيله، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (٤) . أيْ: يُخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ، يُقَالُ: أَخْلَفَ لَهُ وَأَخْلَفَ عَلَيْهِ: إِذَا أَعْطَاهُ عِوَضَهُ وَبَدَلَهُ، وَذَلِكَ الْبَدَلُ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الآخِرَةِ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ فَإِنَّ رِزْقَ الْعِبَادِ لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضَ إِنَّمَا هُوَ بِتَيْسِيرِ اللهِ وَتَقْدِيرِه، والآية الكريمة حَثٌّ عَلَى الإِنْفَاقِ فِيمَا أَذِنَ فِيهِ الشَّرْعُ(٥).

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج/ ٤، ص/ ٤٧٣. وتفسير البغوي ج/ ٨، ص/ ٣٢. وجامع البيان لابن جرير الطبري ج/ ٢٣، ص/ ١٧١.
(٢) [البقرة: ٢٧٢].
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج/ ٣، ص/ ٣٣٩.
(٤) [سبأ: ٣٩].
(٥) فتح القدي للشوكاني ج/ ٤، ص/ ٣٧٩. والتحرير والتنوير لابن عاشور ج/ ٢٢، ص/٢٢٠.

فدلت الآية الكريمة على أن الإنفاق في سبيل الله سببٌ في زيادة المال وتنميته؛ فهو لا يُنقص المال بل يَزيده، بأنْ يُخلف الله على المُنفق خيرًا مما أنفَقَ، ويُبارك له فيما أبْقَى.

ووعد - سبحانه - بمُضاعفة العطية للمُنفقين بأعظم مما أنفقوا أضعافاً كثيرة، فقال سبحانه: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾(١).

قال أبو حيان: " هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّأْسِيسِ وَالتَّقْرِيبِ لِلنَّاسِ بِمَا يَفْهَمُونَهُ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، شَبَّهَ تَعَالَى عَطَاءَ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ بِالْقَرْضِ، كَمَا شَبَّهَ بذل النفوس والأموال في الْجَنَّةِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ"(٢).

والمعنى: من هذا المؤمن القوى الإيمان الذي يُقدم ماله في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، وفي غير ذلك من وجوه الخير كمُعاونة المحتاجين، وسد حاجة البائسين، ومُساعدة الأمة الإسلامية بما يُفيدها ويُعلى من شأنها، فَيُضاعِفَهُ لَهُ أضْعافاً كَثِيرَةً أى: فيرد الله- تعالى- إلى هذا الباذل المعطى المقرض بدل ما أعطى وبذل وأقرض أمثالا كثيرة لا يعلم مقدارها إلا الله أكرم الأكرمين(٣).

فالآية الكريمة: **تُشجع** على التصدق بوعد الله بالأجر الكريم للمحسنين المنفقين. الذين تصدقوا؛ فالمتصدِّق المنفق ابتغاء مَرْضاة الله تعالى يفوز بثناء الله تعالى وما وَعَد به المتصدِّقين من الأجْر العظيم، وانتفاء الخوف والحزن.

بل إن الإسلام يُقرر هذا التعاون من قبل القادرين عليه إلى كل محتاج ومسكين ولو كانت بينهما حزازات وخصومات شخصية، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ

(١) [الحديد: ١١].
(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ج/ ١، ص/ ٥٦٠.
(٣) التفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر د سيد طنطاوي ج/١، ص/ ٥٦٠.

﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (١).

من خلال ما سبق يتبين: **مكانة** الإنفاق في سبيل الله، ووعد الله الصادق لمن يجود بماله في سبيله، وهما كما نرى مكانة وعِدَة لم يَحظَ بهما شيء من التكاليف الإلهية سوى الإنفاق؛ لأن الانفاق في سبيل الله دليل على صدق الإيمان، وقوة اليقين، وحسن الظن برب العالمين.

أثر الانفاق فى تهذيب غريزة حُب التملُّك.

لقد جاء شرع الله؛ لتهذيب أخلاق وغرائز الإنسان؛ ليتميز بذلك عن الحيوانات والدواب التي تنقاد وراء شهواتها، وغرائزها بشكل أعمى ولم يشأ الله أن يقضي على غرائز الإنسان؛ لأن الله خلق الإنسان وبه غرائزه التي تُحركه بل جاء الشرع؛ لتهذبها ومن تلك الغرائز التي تُؤثر وتُسيطر على الأنسان هي غريزة حُب تملك المال، ولقد هذبها الله من خلال الدعوة إلى الانفاق في سبيل الله؛ لأن الانفاق من الخصال التي تجعل المؤمن يتطلع إلى الأجر والثواب من الله، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾(٢) . فلما كان المال محبوباً عند الإنسان عزيزاً عليه إنفاقه بين - سبحانه - أن العبد لا يصل إلى حقيقة البر إلا بالإنفاق مما أحب.

يقول القشيري: "لمّا كان وجود البرّ مطلوبا ذكر فيه «من» التي للتبعيض فقال: «مِمَّا تُحِبُّونَ» فمن أراد البر فلينفق مما يُحبه أي البعض، ومن أراد البارّ

(١) [النور: ٢٢].
(٢) [آل عمران: ٩٢].

فلينفق جميع ما يحبه. ومن أنفق محبوبه من الدنيا وجد مطلوبه من الحق تعالى، ومن كان مربوطاً بحظوظ نفسه لم يحظ بقرب ربّه"(١).

وَالْمَالُ الْمَحْبُوبُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَرَغَبَاتِهِمْ، وَسَعَةِ ثَرَوَاتِهِمْ، وَالإِنْفَاقُ مِنْهُ أي التَّصَدُّقُ دَلِيلٌ عَلَى سَخَاءٍ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وَفِي ذَلِكَ تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ مِنْ بَقِيَّةِ مَا فِيهَا مِنَ الشُّحِّ، وَفِي ذَلِكَ صَلاَحٌ عَظِيمٌ لِلأُمَّةِ إِذْ تَجُودُ أَغْنِيَائُهَا عَلَى فُقَرَائِهَا بِمَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنْ نَفَائِسِ الأَمْوَالِ فَتَشْتَدُّ بِذَلِكَ أَوَاصِرُ الأُخُوَّةِ، وَيَهْنَأُ عَيْشُ الْجَمِيعِ (٢).

فدلت الآية الكريمة على أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك، وأن الإنفاق في سبيل الله للوصول إلى حقيقة البر من أحب الأموال وأفضلها عند مالكها، وبمقدار طيبها وحسنها يكون الثواب عليها.

كما أن الانفاق يجعل المرء يستعلي على نزغ الشيطان الذي يُخوفه الفقر، ويُزين له الشُّح والبُخل، فالذي يحول بين العبد وبين إنفاق طيبات المكاسب هو الشيطان، وصدق الله إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾(٣).

وَمَعْنَى الآيَةِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يُخَوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، وَيَقُولُ لِلرَّجُلِ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ فَإِنَّكَ إِذَا تَصَدَّقْتَ بِهِ افْتَقَرْتَ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ، أَيْ: بِالْبُخْلِ وَمَنْعِ الزَّكَاةِ، والله

(١) لطائف الاشارات للقشيري ج/ ١، ص/٢٥٨.
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ج/ ٤، ص/ ٦.
(٣) [البقرة: ٢٦٨].

يعدكم أي: يجازيكم على صدقاتكم، مغفرة منه لذنوبكم، وفضلا وهو أن يخلف عليكم ما أنفقتم، والله واسع الفضل لمن أنفق، عليم بمن ينفق ومن لا ينفق (١).

لذا كانت شريعة الإسلام جامعة لتهذيب النفس البشرية وكبح جماحها بأمور مشروعة ومُباحة تُساعد على اتزان الإنسان، وتقويم سلوكه وتصرفه عن وساوس الشيطان، ووساوس النفس الأمارة بالسوء؛ فتأمره بالمُسارعة إلى الإنفاق، وأن يتَّقي شُحَّ نفسِه؛ قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾(٢).

والشح ـ في أصل مادته اللغوية ـ "الأَصْلُ فِيهِ الْمَنْعُ، ثُمَّ يَكُونُ مَنْعًا مَعَ حِرْصٍ. مِنْ ذَلِكَ الشُّحُّ، وَهُوَ الْبُخْلُ مَعَ حِرْصٍ. وَيُقَالُ تَشَاحَّ الرَّجُلَانِ عَلَى الأَمْرِ، إِذَا أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْفَوْزَ بِهِ وَمَنَعَهُ مِنْ صَاحِبِهِ(٣).

ولما كان الشُّحُّ غريزةً في النفس أضافه الله إلى النفس ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وهذا لا يعني أنه لا يمكن الخلاص منه، بل الخلاص منه يسير على مَن يسَّره الله عليه، ولكن الخلاص التام منه بأنواعه كلها الحسية والمعنوية، لا يُوفق له إلا المفلحون، أي: وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ؛ حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبُغض الإنفاق. فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل(٤)..

(١) تفسير البغوي المُسمى معالم التنزيل، ج/١، ص/٣٧٢. وتفسير الخازن المُسمى لُباب التأويل في معاني التنزيل، ج/ ١، ص/ ٢٠٤.
(٢) [التغابن: ١٦].
(٣) مُعجم مقاييس اللغة لابن فارس ج/٢، ص/ ١٧٨، مادة (شَحَّ).
(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي ج/ ٥، ص/ ٢٠٠.

والأنصار من المُفلحين؛ لأنهم منعوا أنفسهم من الشح؛ ففتحوا بيوتهم وصدورهم لإخوانهم من المُهاجرين - رضي الله عنهم أجمعين -، رغم قلة ذات يد كثير منهم؛ فاستحقوا مدح الله تعالى لهم، وثناؤه عليهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾(١).

فهم مُفلحون؛ لأنهم علموا أن المال في الأصل هو مال الله ـ تعالى -، وما العبد إلا سبباً فيه؛ فيجب ألاّ يتمكّن من القلوب؛ لأن حائزه (مالكه) ليس إلا وسيطاً مُستخلفاً فيه قال تعالى مقرراً هذه الحقيقة ومُؤكداً عليها بقوله: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾(٢).

ففي الآية الكريمة أمر من الله لعامة المسلمين بإعانة المُكاتبين على جمع المال المطلوب منهم؛ وإعطائهم سهماً من الزكاة؛، أي: أعطوهم مما أعطاكم الله من الرزق؛ ليكون لهم عوناً على فكاك أنفسهم؛ فيتخلصوا من أسر الرق، ويدخلوا في المُجتمع الحرّ. (٣).

فيتعين على المُسلم على أن يكون من المُنفقين في سبيله وألا يكون من الأشحاء والبخلاء في طاعته؛ حتى يفوز بمحبة الله ومحبة الناس، وسعادة القلب،

---

(١) [الحشر: ٩].
(٢) [النور: ٣٣].
(٣) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ج/ ٩، ص/ ١٢٧٤، والتفسير المنير للزحيلي ج/ ١٨، ص/٢٢٨. وصفوة التفاسير للصابوني ج/ ٢، ص/ ٣٠٨.

وزكاة النفس، وعبادة الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ (١).

أي: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ أَمَرَهُ اللهُ بِإِعْطَائِهِ مِنْ مَالِهِ، وَمَا وَهَبَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاتَّقَى اللهَ وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ؛ فسنهيئه في الدنيا لِلْيُسْرَى أي للخلة والفعلة اليسرى، وهو العمل بما يرضاه الله، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بالنّفقة في الخير والطاعة، وَاسْتَغْنَى عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى أي بلا إله إلا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى أي: فسنهيئه للشّر بأن نجريه على يديه؛ حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار"(٢).

فالإنفاق في سبيل الله هو جماع أسباب الخير والصلاح وتيسير الأمور.

وهكذا عالج الإسلام الفقر من طريق آخر غير طريق الزكاة والصدقات والكفارة: عالجه من طريق الكسر من حِدة الشهوة، والكف من ثورة الطموح، والغضّ من إشراف الطمع؛ فرغّب الغنى في الزهد، وأمر الواجد بالقناعة، ومدح الفقير بالتعفف، وحث الغني على الإنفاق والتصدق.

أثر الانفاق في الترهيب من البُخل بحق الفقير والمسكين.

وكما كان للقرآن من أساليب الترغيب في البذل والانفاق؛ كان له أيضاً من أساليب الترهيب من البخل، ومن إهمال حق الفقير ما يملأ قلب المؤمن بمبدأ التضحية، وأنها سبيل الله في بناء المجتمع، بناءً يَكفل للإنسانية سعادة الأولى والآخرة.

* **وبالتأمل في القرآن الكريم نجد أن التنبيه على حق** الفقير والمسكين من أصول البر الذي يطلبه الله من العباد بعد الإيمان به - سبحانه - ويجعل ذلك من

(١) [الليل: ٥ - ١٠].
(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري ج/ ٢٤، ص/ ٤٦٠، وتفسير الخازن ج/ ٤، ص/ ٤٣٤.

دلائل الصدق في الإيمان والتقوى قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (١).

أيْ: أخْرَجَهُ، وَهُوَ مُحب لَهُ، رَاغِبٌ فِيهِ يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه و{ذوى القربى} أي القرابة وقدمهم؛ لأنهم أحق "(٢).

*جعل القرآن الكريم إطعام الفقير والمسكين هو العَقبة التي تحول بين الإنسان وسعادته قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾(٣).

يقول عبد الكريم الخطيب في تفسير هذه الآيات: "هذه هي العقبة التي كانت موضوع السؤال: «وَما أدْراكَ مَا العَقَبَةُ»؟ إنها عقبة، تقوم بين يدى من يريد اجتيازها إلى مواقع الخير- عقبات: منها: «فك رقبة» أي عتق رقبة، وفكها وإطلاقها من أسر العبودية، والرق، وتحريرها من البهيمية التي اغتالت معالم الإنسانية فيها.. إنه خليفة الله في الأرض! ومن العقبات التي يقتحمها من يأخذ طريقه إلى الله: «إطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيماً ذا مَقْرَبَةٍ، أوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ» أي بذل الطعام في المجاعات، وفى أيام الجدب والقحط، للجياع والمحرومين.. وأولى هؤلاء الجياع بالإطعام، الأيتام الفقراء، لضعفهم، وعجزهم عن الكسب.. وأحق الأيتام بهذا الإحسان، ذوو القربى، إذ كان للقرابة حق يجب أن يرعى، فمن

(١) [البقرة: ١٧٧].
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج/ ١، ص/ ٤٨٦، وتفسير النسفي ج/ ١ ص/ ١٥٣.
(٣) [البلد: ١٢ـ ١٦].

قصّر في حق ذوى قرابته، فهو مع غير هم أكثر ضنّا، وأشد تقصيرا.. والمسكين الفقير، هو أشبه باليتيم، في ضعفه، وقلة حيلتـه، وإطعامـه- حـين لا يجـد الطعـام- أولى من غيره! (١).

* **جعل القرآن الكريم عدم إطعام المسكين أو عدم التحريض عليه**؛ علامة على التكذيب بيوم البعث والجزاء، وعلامة على عدم الصدق في الصلاة وإقامتها، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ (٢).

أي: ولا يحثُّ على بذلِ طعامِهِ أوْ عَلى إطعامِهِ فضلاً أنْ يبذلَ ما مِن مالِهِ، وإنما يدعّ اليتيم؛ لأنّ الله تعالى قد نزع الرحمة من قلبه، ولا تُنزع الرحمة إلاّ من قلب شقيّ(٣).

قـال صـاحب الكشـاف: "وفـي قولـه: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ دلـيلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين، أحدهما: عطفه علـى الكفـر، وجعلـه قرينة له. والثاني: ذكر الحض دون الفعل؛ ليعلم أنّ تـارك الحـض بهـذه المنزلـة، فكيف بتارك الفعل" (٤).

* **وبين القرآن الكريم أن من أسباب سلك المُجرمين فـي سـقر هـو إهمـال حقِّ الفقير** والمسكين؛ بجانب التكذيب بيوم الدين والخوض في الباطل قال تعالى:

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، ج/ ١٦، ص/ ١٥٧٨.
(٢) [الماعون: ١ – ٦].
(٣) تفسير أبو السعود ج/ ٩، ص/ ٢٦. ولطائف الاشارات للقشيري ج/ ٣، ص/٧٧٣.
(٤) تفسير الكشاف للزمخشري ج/ ٤، ص/ ٦٠٥.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)﴾(١).

أي: قال أصحاب اليمين للمجرمين: ما الذي أدخلكم في سقر، وجعلكم وقودا لنارها وسعيرها؟ والسؤال إنما هو على سبيل التوبيخ والتحسير لهؤلاء المجرمين. ثم حكى- سبحانه- ما رد به المجرمون على أصحاب اليمين قال المجرمون لأصحاب اليمين: الذي أدى بنا إلى الإلقاء في سقر، أننا في الدنيا لم نقم بأداء الصلاة الواجبة علينا، ولم نعط المسكين ما يستحقه من عطاء، بل بخلنا عليه، وحرمناه حقوقه.. وكنا- أيضا- في الدنيا نخوض في الأقوال السيئة وفي الأفعال الباطلة مع الخائضين فيها، دون أن نتورع عن اجتناب شيء منها(٢).

فسجل القرآن الكريم عليهم اعترافهم على أنفسهم بأنهم جعلوا شهواتهم محور حياتهم، ومصالحهم فوق كل شيء، فلم يتفقدوا مسكين، ولم يمسحوا دمعة يتيم، بل عاشوا لأنفُسهم فقط.

***وجاء التأكيد على حق الفقير ووجوب اطعامه** في قوله: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾(٣)

قال الرازي: "أَمَّا قَوْلُهُ: وَأَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ فَلاَ شُبْهَةَ فِي أَنَّهُ أَمْرُ إِيجَابٍ، وَالْبَائِسُ الَّذِي أَصَابَهُ بُؤْسٌ أَيْ شِدَّةٌ وَالْفَقِيرُ الَّذِي أَضْعَفَهُ الإِعْسَارُ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ فَقَارِ الظَّهْرِ"(٤)

---

(١) [المدَّثر: ٣٩ــ ٤٥].
(٢) التفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر د سيد طنطاوي ج/ ١٥، ص/ ١٩٠. باختصار.
(٣) [سورة الحج:٢٨].
(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج/ ٢٢، ص/٢٢١.

وَالآية الكريمة تَعْرِيضٌ بِطَلَبِ الشُّكْرِ علَى هَذَا الرِّزْقِ بِالإِخْلاَصِ للهِ فِي الْعِبَادَةِ وَإِطْعَامِ الْمَحَاوِيجِ مِنْ عِبَادِ اللهِ مِنْ لُحُومِهَا، وَفِي ذَلِكَ سَدٌّ لِحَاجَةِ الْفُقَرَاءِ بِتَزْوِيدِهِمْ مَا يَكْفِيهِمْ لِعَامِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَرَّعَ عَلَيْهِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ(١).

فهذا هو أسلوب القرآن في الترهيب من الاستهانة بحق الفقير والمسكين؛ فيضع الإنفاق في سبيل الله، وإطعام الفقير المحتاج- موضع العَقبة والحاجز الذي لا بدَّ من اقتحامه؛ ليصل الإنسانُ إلى سعادته، إن لم يكن بنفسه، فبحضِّ القادرين عليه، وإرشادهم إليه. وأن إهمال حق الفقير أو نسيانه من أسباب سلك المجرمون في جهنم.

فالإسلام هو الدين الذي لا يُقيم وزنًا لشيء من تكاليفه، إذا لم تَغرس في قلب المسلم عاطفة الرحمة مَبعث الإنفاق والبذل والعطاء؟.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج/ ١٧، ص/ ٢٤٦

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه أن أعانني على إتمام هذا البحث وإخراجه في هذه الصورة. وبعد،،،،،،،،،،،،،،،

فهذه لمحة عن حقيقة الفقر، وفيها إشارة إلى بعض آثاره السيئة، وتصَدِّي القرآن الكريم ومواجهته، والمُسلم يعلم أن الفقر والغنى، والعطاء والمنع، من تقدير الله تعالى، فيصبر على الضراء متى نزلت، ويشكر الله تعالى على السراء إن أدركته، لكنه مطلوب منه العمل، والتكسب؛ لرفع الفقر عن نفسه وأهله، ومن عجز لظرف بدنه أو بلده؛ فإن الإسلام يرفع فقره بزكاة الفقراء وصدقاتهم، وهو حق له في أموالهم.

وفيما يلي أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث:

أولاً: أهم نتائج البحث

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يلي:

١- الفقر حالَة يكون معها المرءُ عاجِزًا عن تلبيةِ حاجاته، وتحقيق مُتطلَّباته من الغذاءِ، والكِساء، والدواءِ، والسكنِ، والتعليمِ، وفُرصِ العمل.

٢-الفقر مرضٌ فتَّاك، يُلحق الضررَ بالكثيرين إن تُرك دون مُحاربة.

٣- اتخذ القرآن الكريم من الفرد والمجتمع وسيلة في التَّصَدِّي لمشكلة الفقر وعلاجها.

٤-إن التشريع الإسلامي بقواعده وقوانينه الثابتة نص على الكثير من الأمور التي تُعالج مُشكلة الفقر، بل وتقضي عليه قبل ظهوره.

٥- الحد من الفقر، والتَّصَدِّي له ليس بالتمني ولكن بالعمل، وعجز المرء وكسله سبب البلاء والتأخير.

٦- الدين الإسلامي رفعَ من قيمة العمل أيًّا كان نوعُه من وجوه الكسبِ الحلال، ونهَى وحذَّرَ وشنَّع على البطالة والعجز والاتِّكال.

٧- علاج الفقر في الإسلام لا ينصرف فقط إلى الزكاة؛ بل يرجع أساسًا إلى العمل، ونفقات الموسرين من الأقارب والصدقات المُستحبة وغيرها.

٨- القضاء على الفقر يقضي على الجهل والمرض، وفضلاً عن هذا فإن مشكلة عزوف كثير من الشباب عن الزواج في عصرنا الحاضر؛ بسبب عجزهم عن تحمل أعبائه المالية.

٩ - عالج الإسلام الفقر في المُجتمع عن طريق الترغيب في الإنفاق والصدقة وهي أمور لا تتحقق غالباً إلا في ظل الغني.

١٠ - الصدقة الخفية؛ تُحافظ على مشاعر الفقير، وتُجنب الرياء ٠

١١ - عالج الإسلام الفقر في المُجتمع عن طريق الزكاة؛ لأنها سبب لتماسك المجتمع وتآلفه، وتضامنه وتكافله، ووقايته من رياح التفكك والانهيار.

التوصيات:

١- أوصي شباب المُجتمع بالسعي والعمل في طلب الرزق؛ فالعملُ هو الوسيلةُ الأولى والسلاحُ المَضَّاءُ – بفضل الله وتوفيقه ـ للقضاء على هذه المُشكلة.

٢- العملُ مجهودٌ شرعيٌّ كريمٌ يقومُ به العبدُ من عباد الله؛ ليعمُرَ أرضَ الله الذي استُخلِفَ في عِمارتها بنفسه ومع غيره.

٣- **أحذر من** الاستهانةُ بالعمل، أو ببعض أنواع العمل، ولا سيَّما عند من يحتقِرون الأعمال اليدوية، وبعضَ الحِرَف والمِهَن؛ فهذا ليس من الدين، ولا من الأصالة، ولا من العقل الراجح..

٤- أوصي المُجتمع بعدم نسيان حق الفقير في الزكاة والصدقات؛ فمن أبسط حقوق الفقير أن يجد قوت يومه. فعلينا وضع الفقير نصب أعيننا؛ حتى يتهيَّأ له مُستوًى من المعيشةِ مُلائِمٌ لحاله يُعينُه على أداء فرائض الله، ومطلوباتِ الشرع، وأعباءِ الحياة، ويَقيهِ من الفَاقَةِ والحِرمان.

٥- أوصي الأغنياء بوجوب إخراج زكاة أموالهم؛ فالزكاة أمر من الله، وحق من حقوقه - عز وجل -، وركن من أركان الإسلام، وبالتالي تصبح العلاقة الحقيقية بين الله وبين دافع الزكاة، وليست بين الغني والفقير.

٦- أوصي الدولة بتوفير فرص عمل مُلائمة ومُنتجة وفعالة للقضاء على الفقر؛ لأن البطالة وقلة الأيدي العاملة من أبرز أسباب الفقر وتفاقمه؛ لأنه لا يمكن أن يُحسن من حياة الأفراد الفقراء سوى العمل؛ فهو يمكن الفقراء من العيش الكريم، وخصوصًا لفئة الشباب والنساء.

٧- أوصي الدولة بتأمين فرص العمل لباحثيه؛ حتّى يتمكّنوا من إعالة أنفسهم وأقربائهم.

٨- أوصي الدولة بالنّهوض بالسّياسة التّعليميّة بمنهجيِّة واضحةٍ وسياسةٍ مرسومة تضمن تأهيل الطّلاب تأهيلاً حقيقيًا للعمل والإنتاج وتشجيعهم، على البحث والابتكار.

٩- أُوصي بالعناية بدراسة الموضوعات القرآنية التي تناقش قضايا العصر.

١٠- أُوصي الباحثين في التفسير التحليلي بربط أبحاثهم بالتفسير الموضوعي؛ ليواكب ظروف العصر الحديث.

هذا ما تيسر إيراده، وأعان المولى على بيانه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم - جلَّ من أنزله

١. أبجديات البحث في العلوم الشرعية د فريد الأنصاري / طبعة الدار البيضاء ١٩٧٧م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان / عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٤. إعراب القرآن الكريم المؤلف: أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان- إسماعيل محمود القاسم / الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.

٦. البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين / الناشر: دار الهداية.

٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠. التسهيل لعلوم التنزيل المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٦ هـ.
١١. التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٢. تفسير الشعراوي – الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) / الناشر: مطابع أخبار اليوم.
١٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠م.
١٤. تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع لطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
١٥. التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
١٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت، دمشق / الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
١٧. التفسير الوسيط المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر – دمشق / الطبعة: الأولى- ١٤٢٢ هـ.
١٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.
١٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري / الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب / عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٢٠. تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت / الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٢١. التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٢. جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر / الناشر: مؤسسة الرسالة /الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٣. الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٢٤. الجدول في إعراب القرآن الكريم المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد، دمشق- مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤١٨.
٢٥. جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٢٦. حُجة القراءات المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني.
٢٧. روائع البيان تفسير آيات الأحكام المؤلف: محمد علي الصابوني طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي / الناشر: مكتبة الغزالي- دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
٢٨. شرح رياض الصالحين المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض / الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

٢٩. شرح صحيح البخاري لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم / دار النشر: مكتبة الرشد- السعودية، الرياض / الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
٣٠. صحيح البخاري المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣١. صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٢. صفوة التفاسير المؤلف: محمد علي الصابوني الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.
٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩ / رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي / قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب / وضع عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
٣٤. فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٤ هـ.
٣٥. الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٣٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر/ الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

٣٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل / المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) / الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت / الطبعة: الثالثة- ١٤٠٧ هـ.
٣٨. لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين /الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة: الأولى- ١٤١٥ ه-.
٣٩. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة- ١٤١٤.
٤٠. لطائف الإشارات = تفسير القشيري المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة.
٤١. المُحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى- ١٤٢٢ هـ
٤٢. مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٤٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو / الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.
٤٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان / الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٤٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) / الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٤٦. معالم التنزيل المؤلف: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد البغوي الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ عدد الأجزاء: ١.
٤٧. المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة / (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
٤٨. مُعجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٤٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠ هـ.
٥٠. المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٢ هـ.
٥١. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري المؤلف: حمزة محمد قاسم راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون / الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق- الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف- المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م.
٥٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) / الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت / الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.
٥٣. هـ، معجم الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٥٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.

المواقع الالكترونية

١- كيف حارب الإسلام الفقر تمت الكتابة بواسطة: آخر تحديث: ٠٦: ٢٦، ١٤ نوفمبر ٢٠١٨، عبر موقع الانترنت https: //mawdoo3. com/

٢- الصدقة وأثرها الاجتماعي خالد الدوس عبر موقع الانترنت. https: //www. al-jazirah. com/2015/20150704/rj9. Htm

فهرس الموضوعات

ملخص البحث: ١٤١١

مقدمة ١٤١٥

أهمية البحث..... ١٤١٧

مُشكلة البحث..... ١٤١٨

ومنهجي في هذا البحث..... ١٤١٨

الدراسات السابقة..... ١٤٢٠

التمهيد: (الفقر – تعريفه – أسبابه – أثاره)..... ١٤٢٣

المبحث الأول: حث الفرد على حل مُشكلة الفقر والتَّصَدِّي لها، وأثر ذلك في حفظ الكرامة الإنسانية، وفي تأمين الإنسان لقوته وقوت أهله..... ١٤٣٠

المطلب الأول: اللجوء إلى الله تعالى والتوكل عليه في طلب الرزق. ... ١٤٣٠

المطلب الثاني: الحث على العمل ونبذ الراحة:..... ١٤٤١

المبحث الثاني: حث المُجتمع على حل مشكلة الفقر والتَّصَدِّي لها، وأثر ذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي..... ١٤٥٠

المطلب الأول: الحث على الزّكاة، وأثرها في تحقيق التكافل الاجتماعي، وفي حفظ أمن المجتمع..... ١٤٥٠

المطلب الثاني: الحث على الصدقة وأثرها في سعة الرزق، وفي علاج الفقر من المُجتمع..... ١٤٦١

المطلب الثالث: "الحث على الإنفاق في سبيل الله، وأثره في تهذيب غريزة حب التملك، وفي الترهيب من البُخل بحق الفقير والمسكين.." ١٤٨٥

الخاتمة..... ١٤٩٨

فهرس المصادر والمراجع..... ١٥٠١